دبابيس

١

دبابيس
مقالات
كريم سلامة
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :٢٠١٥/٢١٧٣٠
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-84-6

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

كريم سلامة

دبابيس

الفهرس

اهداء	٧
مقدمة الكاتب	٩
فيلم رعب	١١
مخلوقات مدهشة...الملتهبون	١٧
السيرك	٢٣
نشطاء من أجل مصر	٢٧
قصص قصيرة جدا	٣١
طريقك إلى النخبة	٣٥
رمضان عندنا	٣٩
الكتالوج	٤٣
أشياء غير مهمه فى الحياة	
الزواج	٤٧
الحب	٥٥
سينما الثورة	٦١
معطف الفرو	٧١
أغانى... شكل تانى	٧٥
الحب الرقمى	٧٩
أشياء تجمعنا	٨٣
الإنسانية فى خطر	٨٩
العلم والبتنجان	٩٣
ملل لا ينتهى	٩٧
عن الشبكات الإجتماعية	
فايسبوك	١٠١
تويتر	١٠٧

نوستالجيا	١١٣
ثلاث دقائق	١١٩
مشاعر أبوية	١٢٩
إنهم يحكمون العالم	١٢٧
إمبارح كان عمرى...عشرين	١٣١
بارافرينيا	١٣٧
الحياة بالقصور الذاتى	١٤١
رحلة إلى مصنع البيض	١٤٣
اسطورة محافظة المنوفية	١٤٩
فى مديح الذات المحاسبى	١٥١
فلسفة البهجة	١٥٧

إهداء

إلى أبي، أمي، إخوتي الأعزاء .. أول من شجعني وحوالافتراضي.تمرار، وأول من وجه إلي النقد. وأول من سيشاركني النجاح لو شاء الله.

إلى الأستاذ عبد الله كمال رحمه الله الذي شجع ما أقدمه وأشركني في حلمه «دوت مصر»،
وأسرة جريدة «الدستور الوطني» التي منحتني مساحة نادرا ما يتم المغامرة بها مع مبتدئ مثلي.

إلى أصدقائي الأعزاء المتناثرين بين العالمين الواقعي والافتراضي ..
تثبتمميز.ما أنكم أقرب ممن هم قريبون بالفعل!

مقدمة الكاتب

الكتابة عالم حالم، عالم تستطيع من خلاله أن ترسم واقعا لخيالك يشاركك في تشييده كل من يقرأ. ويشارك في صنعه كل من قدم لك نصيحة أو نقدا أو أثر في أسلوبك أو أضاف لثقافتك – المحدودة – بعدا جديدا يضيء لك بها مساحة أخرى من الإدراك.

وها أنا وكأحد هؤلاء الحالمين، أقوم بخطوتي الأولى نحو هذا العالم الثري! أحاول من خلال هذه التجربة أن أقدم شيئا مفيدا، مختلفا، جريئا في أفكاره حسب ما اعتقد. وأحاول أن ألتقط بعضا من المشاكل في حياتنا العامة والاجتماعية والسياسية وتجاربنا الشخصية بأسلوب مختلف لا أزعم إنني أرها بشكل أفضل، أو أن أقدم لها حلولا استثنائية.

بالإضافة إلى تقديم بعض التسلية أيضا بعيدا عن تعقيدات الاختلاف في وجهات النظر.

هي فقط مجرد محاولة من شخص اعتقد أن لديه الشغف ليغامر، هي فقط مجرد «وخزة» قد تسترعي الانتباه، وربما لا. ومن هنا جاءت التسمية... دبابيـــــس

كريم

فيلم رعب

ها أنا ذا يابسنت .. أيا حبيبة قلبي، لقد قررت أن أكتب أخيرا! أتعرفين يابسنت؟ .. أيا مهجة الفؤاد الراقص على إيقاعات شاكيرا، أننى منذ زمن أحاول احتراف الكتابة لكن للقدر أسبابه الخاصة دائما. معظم أصحاب دور النشر غالبا لا يغامرون مع المبتدئين أمثالي، ومهما كان حجم رغبتي فى الانتشار فأنا كأي جشع صغير يريد أن تجنى أفكاره نقودا، وكأي طموح لا تشبعه عبارات الثناء والشكر.

لكن يبقى السؤال قبل أن أتوجه لأى دار نشر .. ماذا سأكتب يا بسنت؟ قصص قصيرة؟ لن يقترب أحد من مكانة العظيم «يوسف ادريس» مهما حاولنا .. روايات؟ أنا بطبيعتي انسان ملول لن أطيق الصبر على مشروع بضخامة عمل روائي. مقالات؟ لا شيء مميز .. لنجرب السخرية!؟ مشروع فاشل، لقد وصل بها الرائع الراحل «أحمد رجب» لقمتها وخسفت البرامج التي تحسب نفسها كوميدية بمفهومها الأرض، وبين شقي الرحى هناك الآلاف من أمثالي! هل أترك نفسي لأواجه اليأس يابسنت؟

لحظة! سأصبح كاتب قصص رعب. كيف لم تخطر لي هذه الفكرة من قبل؟ لا يوجد لدينا عدد كاف من كُتاب الرعب المحترفين فعلا باستثناء المبدع «د. أحمد خالد توفيقا» وله مدرسته الخاصة التي أثرت في جيلنا بالكامل. أنا أتحدث عن رعب مثل القلق من نظرات طفلك الخاوية عندما يسكب السيريلاك على نفسه، عندما يدق جرس الباب وتتساءل في قلق عن هوية اللزِج السخيف الذي يضع إصبعه فوق العين السحرية، لحظة الصمت التي كانت تسبق سيل السباب بعد انقطاع الكهرباء فى

عهد مرسى، نظرة القط القلقة الذي يعرف أنهم يتربصون به ليلقوه في ترعة ما ليتأكدوا لو كان بإمكانه أن يسبح حقا! لعاب الكلب المتطاير الذي أيقن أنهم بصدد قطع ذيله، تلك اللمسة الباردة التي تسري فى أوصالك – لمسه وباردة وأوصالك! لقد اكتشفت نفسيا فعلا! - عندما ينقطع الماء في اللحظة التي تعجز فيها عن الرؤيمصر.ب كميات الشامبو التي وضعتها على رأسك. هكذا تكون الأفكار!

حسنا سأجرب معكِ كتابة سيناريوهات سينمائية مرعبة تمهيدا لأن أكون أغنى أغنياء مصر .. إنها طبعا.جيدة لنبدأ من مكان لا يستطيع أحدهم منافستي فيه. فحتى السينما لم تقدم للمشاهد المصري السيناريو المرعب الذي يستحقه! ففي تاريخ أعمال السينما لا يوجد إلا «الانس والجن» و«التعويذة»

تقريبا ويمكن تصنيفهم كأعمال كوميدية. فيلم التعويذة مثلا اعتمد على نمط الرعب الشيطاني وعندما حانت اللحظة التي تم تأجيلها طوال أحداث الفيلم يفاجئك المخرج بماكيت كرتوني ذو رأس أحمر وقرنين و»رجل معزة» ويحاول اقناعك أن هذا هو «بعلزبول» نفسه! لا يهم، سأضع تصوراتي المبدئية لبعض السناريوهات التي سأغير بها خريطة السينما المصرية للأبد ..

رعب المسوخ: المسخ هو كائن ملعون تم دفنه منذ آلاف السنين ويحتاج لعامل بيولوجي لإعادة تنشيطه، وهذا مالم يدركه ذلك الطفل البائس دائم الركض بلا سروال ولسوء حظه أنه قرر التبول فوق مقبرة لعشيرة من الزومبى! وفى أثناء استمتاعه بممارسة أقدم أنواع الري تشاهد مذابحهم الوحشية فى مشاهد فلاش باك إلى أن انتصر عليهم الملك تحوت على مشارف محافظة المنوفية والتي سأستغلها - ككاتب محنك - في بقية

أحداث السيناريو كإسقاط سياسي نفهم مغزاه جيدا. وبفضل حماقة طفل بلا سروال عادوا للحياة لتبدأ اللعنة من جديد!

هذه الطريقة تحمل حبكة لا بأس بها لكنها غير قادرة على إخافة ذلك الطفل عديم السراويل، سيشاهده ويضحك طبعا! لقد ربته جدته العظيمة على حكايات أبطالها «أبو رجل مسلوخة» وبالتالي ربما يكون هذا المسخ هو خاله أو عمه الذى سافر للعمل فى الخليج يوما ما وسيعود ومعه البطانية الكاروهات إياها والمروحة ذات المصباح السهارى .. النتيجة: فشل.

رعب الكائنات الغامضة: حسنا، لنتحدث الآن عن سمكة لها ذيل كالأفعى المجلجلة ولها أزيز معين يعرفه سكان ومصطافي بلطيم جيدا وهو الأزيز الذي يجعل الحاجة سعاد تركض مخلفة ورائها تل من شطائر الحواوشى دون أدنى شعور بالندم. التضحية بالحواوشى أهون من أن تكون طعاما لسمكة متوحشة غريبة الأطوار.

تيمة الأسماك المتوحشة تلقى رواجا لا بأس به خاصة بعد أن نقلها «الفك المفترس» إلى مستوى آخر، لكن أي سمكة تلك التي تستطيع بث الرعب فى نفوس المصريين؟ لقد أكل المصري الديدان باعتبارها جمبري، وأكل حشرات بحرية ووجدها شهية لأنها تشبه الاستاكوزا قليلا.

لذا فلو وجد أسماك البيرانا ذاتها فستكون اضافة بروتينية هائلة على حساء فواكه البحر! حتى لو وجدوا تلك السمكة التي لها ذيل الأفعى المجلجلة سيسمونها «شخشيخة البحر» وسيأكلونها أيضا! كل شيء عند المصريين صالح للأكل حتى لو مات أحدهم بسببه، لأنها ستصبح حادثة قضاء وقدر عادية لن تؤثر فى مدى استمتاعهم بلذة الأشياء ... النتيجة: فشل مخز.

رعب الموتى الأحياء: يحمل المصريون احتراما خاصا للموت منذ أن كان التاريخ نفسه طفلا يلهو فى بهو معبد الكرنك، بل وصل احترامهم للميت أن يعاملوه بكرم أكثر مما كانوا يعاملونه به وهو على قيد الحياة! فما بالك ومع كل هذا التقدير أن يعود الميت للحياة؟ لا شيء طبعا .. سيستضمدهشة.ائل الإبراشي» ليحكوا له عن حياة البرزخ. وبالتأكيد سيظهر ذلك المشاهد الضليع فى أمور الأموات ليكذب كل ما يدعيه هؤلاء الأوغاد! فيرد أحد الأموات عليه فى غضب: احنا اللي كنا ميتين وانت فى قاعد فى بيتك ماتزايدش علينا!

انظر لمن حولك جيدا .. فى المترو، فى المصالح الحكومية، هل تشعر أن البشر من حولك على قيد الحياة من الأساس؟ الموظف الحكومي الذى يسترد روحه ليقول لك: شباك خمسة يا أستاذ! ثم يموت من جديد هل شعرت للحظة أنه كائن مخيف؟ ها أنا أفشل من جديد.

سأحاول إخافتهم بالكونت «دراكولا» لكنى متأكد أن هناك من سيقوم بتثبيته على الدائري وهو يصيح بصوت مخمور: هات الكيلادة اللي في صدرك يااااض! أرسل لهم «ميدوسا»؟ بعضهم لن يهمه أنها سوف تحيله إلى حجر لأنه قرر أن يتحرش بها طبعا! استعير «الرجل الأخضر» من «مارفيل»؟ سيلتقطون معه صورا تذكارية وسيظهر ذلك السخيف الذي سيرفع اصبعيه خلف رأس العملاق وهو يبتسم في السيلفى ببلاهة. «ترانسفورمرز»؟ سيتم تفكيكهم ليباعوا كخردة. المصري لن يفهم أيضا أنه في إحدى ألعاب «المنشار» الذي يهوى تعذيب البشر لإشباع ساديته المرضية وسيفاجأ بجينات المصري الأصيل وهو يقابل ساديته باستهتار على أنها شكل من أشكال الكاميرا الخفية وسينتظر دون يأس أن يظهر له صاحب الحفل ليقول له: لو تحب نذيع قول ذيع. صندوق «باندورا» نفسه لن يحرك مشاعر الهلع في نفوس المصريين، وستعتبره ربات البيوت

مجرد صندوق يصلح لتخزين الأزرار وبكرات الخيط!
حتى لو نقلت المصري لمستوى الرعب في الأفلام الكورية التي تحبس أنفاسك فعلا سيعتبر شبح المرأة ذات الشعر الكثيف هي زوجته وسيستغرب من كونها مازالت مستيقظة حتى الآن! ولن ينسى طبعا أن يشير بسخرية الزوج المصري المعروفة للكوافير الذي جعلها تبدو كالمهرجين.
على الاعتراف أن الشعب المصري ليس هذا الشعب الذي يمكن اثارة مشاعر الهلع داخله بسهولة. لقد فهمت الآن لماذا اعتبرت فيلم «التعويذة» فيلم كوميدي! لقد سبق واقعنا أبعد نقطة يمكن أن يصلها خيال صناع الهلع السنيمائي فعلا. أنا كاتب رعب فاشل يا بسنت ولابد من مواجهة الحقيقة. لكنها ليست نهاية المطاف طبعا! سأبرهن لك لاحقا أننى أستطيع الكتابة في مجالات أخرى غير الرعب الذي فشلت فيه.

مخلوقات مدهشة .. الملتهبون

بسنت! أيا حبيبة قلبي، أمستعدة أنتِ لتسلية من نوع خاص؟ رغم فشلي في اقناع نفسي قبل إقناعك أننى أستطيع أن أصبح سيناريست لأفلام الرعب، كان لزاما أن أبرهن أننى لست على هذا القدر من الفشل أيضا! لذا فقد أنهيت دورتي التدريبية بنجاح ويمكنني الآن الانضمام إلى طاقم عمل قناة ناشيونال جيوجرافيك! وسوف أقدم لهم مشروعا لبرنامج فريد من نوعه لم يسبقني إليه أحدهم حتى الآن. ودعيني أبرهن لك لو كنتِ لا تصدقين ما أقول، ها هي مقدمتي الصوتية الرخيمة بالغة العمق التي سيخلدها التاريخ في عالم البرامج المتلفزة:

«في بلد كمصر وبتعداد كتعداد سكانها ذو العداد الانفجاري تقابل من كل أصناف البشر، وتتعامل مع شخصيات بالكاد لو تخيلت أنك ستضطر يوما للتعاطي الفكري معها! لكن أخطر تلك اللحظات حين يُخضعك قانون الصدفة للتعامل مع صنف «الملتهبين»... مخلوقات مدهشة! كل ثلاثاء على ناشيونال جيوجرافيك».

أرأيتِ؟ أيا طنين فراشة خيالي الخصب. ولا يهم أن صوت الفراشات ليس بطنين، اعتبريها مبالغة. بل ربما تتساءلين الآن، أيا كرة تسكن زاوية قلبي التسعين، لماذا أقدمت على فعل شيء كهذا! حبيبتي بسنت .. نحن في حقبة الملتهبون! ألم تلحظي ذلك حتى الآن؟ إن الملتهبين في كل مكان من حولك. في الإعلام، في قائمة أصدقائك على مواقع التواصل الاجتماعي، بين أقرانك في حياتك العامة، بل ربما في منزلك نفسه!

أما عن تعريف المخلوق الملتهب نفسه، أيا فرحتي بوجبة الكومبو بعد يوم من العمل الشاق، فهو كائن دائم الزهو بما يعتقد أنه يملك من الاتساق مع ذاته وأفكاره، هو شخص ثابت على مبادئه، يستطيع أن يبرهن دائما أنه ليس ذلك القروي الساذج، فلم تغره الدنيا الزائفة ولم تبهره أضواء المدينة ولم يُخضعه قانون الصدفة للانغماس في البرجماتية السياسية يوما. هو الوتد الصامد مهما كان حجم المتحولين من حوله.

ولاكتشاف ما إذا كان شخص ما تابع لعشيرة الملتهبين أم لا، يمكننا وضع اختبار بسيط! لنقول مثلا ان في التسعينات كانت هناك شرائط كاسيت «مضروبة» يتزامن إصدارها مع اصدار النسخة الأصلية لأي مطرب. هنا ينتهي دورنا تماما ويحين وقت ترك ساحة النزال للملتهبين.

أنصار يناير سينفجرون غضبا عن فساد إدارة المصنفات التي سمحت بتوحش صناعة الكاسيت المضروب التي كلفت تلك الصناعة خسائر بالجملة. ثم يذهبون إلى أبعد نقطة يمكن أن يصلها خيال خصب ليؤكدوا أن النظام قد سمح بتلك التفاهات للظهور للقضاء على الذوق العام.

أما أنصار الرئيس الأسبق مبارك أو الفلول الأصليين لمصر فسيبحرون عكس تيار يناير طبعا! سيؤكدون أن من حكمة مبارك أنه سمح لمثل هذه الأشياء أن تستمر، فكيف لمواطن بسيط يحب «سميرة سعيد» أن يشترى الكاسيت الخاص بها بسعر يتجاوز الخمسة عشر جنيها! لقد كانت نظرة نظام مبارك ثاقب الرجال.لأمر، وأصبح المواطن قادرا على شراء كاسيت «سميرة سعيد» بثلاثة جنيهات فقط! ثم يؤكدون أن «مجيدة» كما يشار إلى ثورة يناير هي من أفسدت متعة المواطن البسيط في الاستمتاع بكاسيت «سميرة سعيد». ثم يتبعون المسيرة بـ «هاش تاج» ما عن زمن الكاسيت الجميل في عصر مبارك.

لكن جوقة الملتهبين التابعة للتيار اليساري خاصة المرشح الرئاسي والبرلماني

الدائم الذي لا يجد غضاضة في تكرار خسارته فسيكون لها رأى مختلف. ذلك لأن حمدين «واحد مننا» فهو بالتأكيد لن يسمح بأن يكون سعر الكاسيت أكثر من خمسة جنيهات! بل سيتبنى فكرة أن تصل الثورة إلى صناعة الكاسيت، ثم إن كل منتجي الكاسيت يخافون لحظة اعلان حمدين كرئيس أو كبرلماني أو كأي مسئول في أي منصب يفوز به ويتوقف عن الترشح أخيرا لأن معنى نجاحه أن الثورة قد وصلت فعلا لصناعة الكاسيت! لقد عانى الشعب في ظل النظامين السابقين من ارتفاع أسعار الكاسيت بنسخته الأصلية ورداءة صوت النسخ المضروبة لذا فإنهم كحملة انتخابية ستؤكد أن من دعائم برنامجهم الانتخابي هو ان يصل الكاسيت لكل مواطن بجودة صوت النسخة الأصلية وبسعر النسخة المضروبة.

وكعادة الملتهبين من مؤيدي الفريق «شفيق» فهم دائما يغردون خارج السرب. سيكون التأكيد أن صناعة الكاسيت خسرت رجلا مثل «شفيق» لأنه كان سيعيد للصناعة بريقها المفقود بعد أن يعود كل مواطن لصفه الصناعي المحدد لإدارة دولاب العمل كما يجب. لم يستطيعوا بعد أن يتفهموا أن الرجال .. يا للتشبيهات النزارية! عفوا، أن الكاسيت لابد أن يصل للمستمع بسعره الحقيقي وأن لعبة دعم صناعة الكاسيت المضروب بقيادة شخصيات عسكرية كبيرة لابد أن تنكشف! الكل يعرف أن العسكريين باعوا «شفيق» ومشروع انقاذ صناعة الكاسيت من أجل «الإخوان» طبعا! هذه حقيقة لا ينكرها أعمى. ثم يترك لك طرف الأحجية العجيبة ويتوارى، لكنه لا ينسى أن يزيد من غموضه المفتعل فيضيف وكأنه نوستراداموس شخصيا أننا سنفهم لكن بعد فوات الأوان! حينها سنندم أننا لم ننتخب سيادة الفريق بالإجماع.

أما بقايا زُمرة اليساريين التي يمكنك حصر أعدادها على أصابعك دون مبالغة والتي اختلفت مع حمدين لكنها مازالت تكن له الاحترام فهم

سيؤكدون لك أن صناعة الكاسيت ذاتها ماهي إلا طريقة جديدة لخداع الشعب والهاؤه عن استكمال ثورته. العسكريون تحالفوا مع الدولة العميقة في أقذر تحالف ممكن ليجعلوا الشعب في حالة من الصراع بين أيهم الأحق بأن يكون صاحب الكاسيت الأغلى سعرا هل هو عمرو دياب أم تامر حسنى! هكذا يمكنهم القضاء على الثورة لأننا لا نعرف أننا قطيع يتم تجهيلنا وفق خطة مدروسة بعناية. كاسيت!! ألم يصلكم اختراع الأيبود بعد؟! إنه اقتصادي وبسنت.للاشتراكيين أمثالهم.

ومع ملتهبي المشروع الإسلامي الموحد تصل اللعبة لأكثر فصولها كوميدية .. الكاسيت أصلا حرام، لكن هذا لا ينكر أن أعلى نسبة مشاهدة لقنوات مثل «شعبيات» و»المولد» كانت في عهد الرئيس الدكتور المنتخب جناب الجاه الأعظم وفخامة الرأس الأعلى الملتحي ألا تكبرون محمد مرسى. محاولة تبيان أن سوق الكاسيت كان فقيرا في عهد الرئيس الدكتور محمد مرسى هي محاولات فاشلة مهما حاول الإنقلابيون الأوغاد! جناب الجاه الأعظم وفخامة الرأس الأعلى الرئيس الدكتور الملتحي ألا تكبرون محمد مرسى هو الرئيس الوحيد الذي قدم التحية لسائقي التوك توك في خطاب رسمي كعادته في أن يكون بسيطا لكنها ملاحظة في غاية الأهمية! لماذا اختار التوك توك بالذات؟ لأنه كاسيت متنقل في حد ذاته! لن يهنأ الإنقلابيون بمحاولة طمس إنجازات الرئيس الدكتور الشرعي المنتخب جناب الجاه الأعظم وفخامة الرأس الأعلى ألا تكبرون محمد مرسى ... أبدا.

أخيرا هناك آخر مجموعة انضمت فعليا لجوقة الملتهبين وهم من مؤيدي الرئيس السيسي .. لقد ابتكروا نوع جديد من المغالاة يمكن أن يسجله التاريخ كبراءة اختراع وهى شوفينية الأداء الدعائي، فستذهب بهم المغالاة إلى الترويج أن بإمكانهم الاستغناء عن الكاسيت من الأساس .. بس هو يؤمر! هؤلاء وصل بهم الابتكار في مجال الالتهاب إلى أبعد نقطة يمكنك

أن تتخيلها فعلا!

حيث أن كل قرار صائب وكل كلمة عظيمة وكل نظرة تنم عن إلمام بكل شيء! لدرجة تدفعك بحكم الضمير الإنساني المُلح أن تهمس في آذانهم للتحذير بأن جرت العادة في الطبيعة البشرية على تحمل الاختلاف في وجهات النظر، بل الدعوة الاضطرارية لتقبله. لكن ليس من الضروري أن نتحمل الشوفينية الجوفاء من نفس المنطلق! فلا يمكن لسُلطة مهما بلغت من الذكاء أن تتخذ كل القرارات الصائبة وفي توقيتاتها المثالية، لم نسمع عن السُلطة التي لم تُخطئ بعد! وعليهم أن يكفوا عن لعب الدور الشوفينى المتنمر، فليس كل من يبدي اعتراضه على أي شيء مهما بدى لهم تافها هو من الأشرار المتربصين.

قدرة الملتهبين على إقناعك بأنهم متسقون مع أنفسهم تتم بنفس براعتهم في كونهم ملتهبين لا يشق لهم غبار! فكل فريق ينظر للآخرين أنهم «طبالبن» يداهنون السلطة أو يداهنون من هم منتمون لهم فكريا دون النظر للهدف الأسمى مصر! وعلى الرغم من ذلك، فكل تصرف يقومون به ينضح بذلك «التطبيل» الذي يوصمون به الآخرين! لكنهم لا ينظرون لأنفسهم أنهم كذلك، بل يفسرونه كاتساق فكري لا يحيدون عنه!

في النهاية ستتساءلين يا بسنت، أيا قنينة عطري الديور فهرنهايت، من هم المتسقون الراسخون وسط هذا الكم من الملتهبين؟ الإجابة إما أن جميعهم كذلك، لذا فانتحار المنطق أمر منطقي في حد ذاته! أو أن جميعهم ينسبون لأنفسهم الاتساق وبهذه النتيجة فقد ناصبناهم جميعا العداء ونمارس من منظورهم جميعا التطبيل السياسي أيضا.

ها أنا ذا يا بسنت .. أيا زهرة النيلوفر البيضاء التي لا أعرف عنها سوى اسمها فقط، هل وقفت على حجم المأساة الحقيقية؟ هم يشعلون الحروب من لا شيء ثم يتصورون أن كل منهم عليه أن يفوز! ربما نخترع لهم مسابقة

أوليمبية كالسباحة في مياه البطيخ ليمكنهم تفريغ طاقاتهم التنافسية فيها وبهذا يمكننا إضافة بعض حلقات أخرى لبرنامجي التلفزيوني الخالد. إنهم مخلوقات مدهشة فعلا!

السيرك

تخيل لو أنك تشاهد الآن فيلم «أيامنا الحلوة» وبالتحديد عندما اكتشفوا أنهم جميعا يحبون «فاتن حمامة» ليتغير السيناريو فجأة وتدور المعركة بين «عمر الشريف»و «أحمد رمزي» بينما يتوارى «عبد الحليم» يراقب المشهد من بعيد لضعف بنيته العضلية مقارنة بالعملاقين. ثم تنتقل المعركة إلى الحارة ويلوح عمر الشريف بالسنجة في وجه رمزي وهو يقول: ثقة في الله هاعورك ياض! وهو عارى النصف الأعلى تماما مثل عبده موته. بينما يغنى في الخلفية عبد الحليم أغنيته «تخونوه» بلحن مهرجاني وايقاع مزعج يخدش حياء الأذن الوسطى! إنه شيء لا يسدكه عكل كما تقول الرائعة «شويكار» لكن هذا ما نبرع فيه، نحول حياتنا إلى سيرك يقدم شتى فنون التصرفات الفصامية بمنتهى الدقة وبقمة الإبهار.

نحن نعشق الثرثرة، وإن لم نجد ما نثرثر فيه لاخترعناه. تخيل اننا الشعب الوحيد الذي تخطى علم الأحياء ليعلن عن اكتشاف الحاسة السادسة! فبمجرد أن يحدث مكروه ما لأحدهم تكتشف ربة الأسرة أنها وقت حدوثه عينها الشمال رفت! هن يحلمن بكل شيء لكنهم لا يتذكرن شيئا إلا بعد حدوثه طبعا!

لمجرد أن تشعر امرأة بالغثيان ورغبتها في أكل الملوخية مثلا تزغرد إحداهن وتبارك لها الحمل، ثم تأخذ الشفافية واحدة أخرى لتؤكد أن الملوخية هي من أعراض «وحم التوأم» لكنهم يتجاهلن أن الرغبة في أكل

الملوخية ربما من أعراض «الطفاسة» ليس إلا! والغثيان بسبب عدم قدرة المعدة على هضم أطنان الكرنب المحشو التي التهمتها في الليلة السابقة في عشاء رومانسي.
هل تظن أنك تعرف معنى الليبرالية حقا؟ الليبرالية هي الطريقة التي تجعل حزب ليبرالي شهير يتحالف فى فترة ما في التسعينات مع فصيل يختلف تماما مع أيديولوجيته لمجرد أن فى ذلك ضمان لبعض المقاعد البرلمانية، وهو نفس الحزب الذي سعى لنفس التحالف بعد ذلك بعقود على أمل أنه سيشكل الحكومة فيما بعد. وللمفارقة أنه في الحالتين فشل باقتدار!
هنا تكتشف فجأة أن الليبرالية يمكنها احتواء أحزاب اليمين! كذلك لا تتعارض المرجعية الإسلامية المدعاة مع التحالف مع بعض الفسقة واستخدامهم كمطايا تحملهم إلى مقاعد البرلمان بمرونة فكرية يحسدون عليها!

وبالحديث عن أحزاب اليمين، هل تعرف لماذا يسمونه بيبسي؟ طبعا هم لا يقصدون انزيم الببسين أيها المهرج الجهول الأجوف! الأمر يتخطى قدرتك البشرية على البحث لأنك لست شيخا، خسئت! ضع علبة كوكاكولا أمام المرآة وانظر ماذا ستجد؟ لا شيء! لكن هذا لن يمنع أن طريقة الايحاء البصرية تلعب قدرا لا بأس به فى اقناعك باستهداف معتقداتك المقدسة وإيهامك أنها في خطر.
هم لا يعترفون بالفصل بين الدين والسياسة، لكن أحزابهم مدنية طبعا! وكلمة «إسلامية» أو «سلفية» وعبارات مثل «الإسلام هو الحل» لا تعدو كونها مدخل متطور في أبحاث الفيزياء الكمية كما يعلم الجميع! من يقول غير ذلك فهو يهدف لإقصائهم من الحياة السياسية لأغراض دنيئة.

ولا تنس أنهم فقهاء! هذا يخول لهم الإفتاء في شتى دروب الواقع. الطب والفلك وعلوم المحركات الحديثة تخضع لتفسير رجال الدين التابعين لهم فقط. لكنك كإنسان عادي لا يمكنك أن تبدى رأيك في شيء يخص دينك وعقيدتك لأنك لست بفقيه! هم لديهم علماء قادرون على الإفتاء في كل شيء وعليك أن تنهل منهم قدر الإمكان ودون الحاجة لإجهاد نفسك في التفكير، هم يقومون بهذه المهمة .. من أجلك أنت!

قاطعوا منتجون الصهاينة! مصانع المنظفات في مدينة العاشر من رمضان وعمالها من المصريين هي مصانع لمنتجات صهيوأمريكية أو أنجلوتورتاية! لا تنظف بوكسراتك القذرة بمساحيقهم وأطفال العرب هم من يدفعون الثمن!

وبالحديث عن المنظفات، متى آخر مرة استعملت فيها إحدى هذه المساحيق وحصلت على نتيجة مبهرة كالتي تظهر في الإعلانات؟ وبالحديث عن الإعلانات، متى آخر مره ذهبت فيها إلى أحد البنوك تطلب قرضا وبعد انتهائك من الإجراءات رقصت أنت ومدير البنك وعمال مصنعك الذي أخذت قرضا لإنشائه؟ اطمأننت على فلوسك؟ هل اقتنعت أنك منحط وعديم الإنسانية بما فيه الكفاية أم تحتاج لجرعة أخرى من إعلانات التبرع؟ هالة غيرت، ألم تغير بعد؟ كيف تعيش حتى الآن دون تغيير وهالة نفسها غيرت!؟ أمرك عجيب! لا تنس أرجوك اللاصقة السحرية المستخرجة من خلاصة التين الشوكي ومياه الراديتر الخضراء القادرة على علاج كل شيء بدءا من رائحة قدميك حتى انسداد شريانك التاجي. والهاتف المعجزة الذي يحمل قفزة تكنولوجية لم تشهدها البشرية حتى الآن، فهو يأتيك الآن بخاصية إظهار رقم المتصل وبنصف سعر الشركة المصنعة!

الحياعلى.ح، لكن هذا كان قبل اختراع مسابق ٠٩٠٠! اتصل واربح أي شيء، سيارة، منزل، بلاي ستيشن، آيفون. فقط اتصل وستربح حتما. اتصل

على .. أوقصيرة.سالة فارغة على .. وتمتع بالإنترنت اللامحدود. حتى لو لم يكن هناك انترنت من الأساس فالأمر أبسط مما تتخيل، اطفى الراوتر وشغله تاني!

تخيل حجم الكوميديا القدرية للحظة! شخص يعتقد أن لديه الحاسة السادسة، ينتخب شخصا ينتمي لحزب مدني يعتقد أن كلمة بيبسى تعنى ادفع كل قرش تنقذ به إسرائيل، يشاهدون الإعلانات فيقتنعوا أن مجرد لاصقة يمكنها شفاؤهم، ثم يشتركون في مسابقات التلفزيون ليربحوا رحلة عمرة، كل هذا من خلال شركات اتصالات تستهدف جيوبهم حتى آخر قرش! أنت تعيش داخل سيرك ضخم فعلا، وللمفارقة أن جميعهم يشتركون في إمتاع الآخرين وفى نفس الوقت يعتبرون أنفسهم أذكياء وكل منهم قد اقتنع أنه مجرد مشاهد يضحك على سذاجة الآخرين.

نشطاء من أجل مصر

كلمة «ناشط» تم اشتقاقها من النشاط، فيقال للشخص أنه ناشط أي يقوم بأفعال غير اعتيادية في ظل ظروف قهرية. وبغض النظر أن الناشط لدينا ينشط فقط على مواقع التواصل الاجتماعى فهذا ليس موضوعنا على الإطلاق! نحن هنا نحاول رصد مزايا كونك ناشطا سياسيا.

الناشط دائما لديه انترنت في أي مكان، في كل وقت. هو الوحيد في مصر الذي يفلت دائما من العقاب الرباني لمشتركي الإنترنت. يمكنه الولوج إلى تويتر تحت أي ظرف ليكتب لك عن قبضة الأمن الغاشمة التي تقصفهم بالنبالم وغاز الفوسفور والميلامين المشع ومدرعات الجيش التي تدهسه ثلاث مرات يوميا كجرعة مضاد حيوي.

الناشط يمكنه التواصل مع كل فئات المجتمع، وعلى عكس المتوقع فجميع هذه الفئات تدعمه وأهمها سائقي التاكسي! كل ناشط لديه حكاية ما مع سائق تاكسي ثائر بالفطرة قام بتوصيله إلى كل مكان بشكل مجاني وهو على استعداد تام للموت بدلا عنه في سبيل أن يكمل هو مهمته في تنوير عقول البسطاء والحفاظ على الزخم الثوري في حالة من التوهج.

الناشط من القلائل الذين يضمنون النعيم في الآخرة والفوز بالجنة حتى لو كان لا دينيا ولا يؤمن بالبعث! لو مات لا قدر الله فهو شهيد، لو مات أحد أقرباءه لا قدر الله بسبب تصلب الشرايين أو الحصبة فالمجد للشهداء!

لقد عاش مناضلا ومات مناضلا، لايهم فيما كان ذلك النضال، المهم أنه ناضل واستحق شرف الشهادة عن جدارة. وإياك أن تشكك في كون من فقدوهم شهداء، إياك! لست نورانيا بما فيه الكفاية لتشم رائحة مسك الجنة كما تلتقطها أنوفهم من على بعد أميال لتحكم.

الناشط لديه حاسة بصر فريدة من نوعها، كل مظاهرة يشارك فيها تصبح مليونية لسبب ما لا ندركه نحن لأننا لا نملك حاسة بصر النشطاء! دائما هناك حشود بشرية وجحافل ثورية لا يمكننا رؤيتها بالعين المجردة. إنه تمويه! خداع استراتيجي للأجهزة الأمنية حتى لا يمكنها تقدير أعداد الجحافل بشكل صحيح.

الناشط عصبي! لا تجادله في شيء تجهل أبعاده أبدا، هل تعرف شيئا عن حريتك أو كرامتك أو خياراتك؟ تبا لك إذا! لا تجادل. هو يعرف دائما أكثر منك بسبب احتكاكه وخبراته العظيمة المتراكمة حتى لو كان مجرد موظف أيها العبد الفلول لاحس البيادة المتخلف!

الناشط يعتبر البرادعي قدس الأقداس! كل تصرف حكيم، وكل تلعثم في كلماته دليل نضوج لأنه رجل عملي لا يجيد التلاعب بالألفاظ، وكل تغريده منه لها وقع كلمة «ياحبيـــبى» بصوت أم كلثوم على آذان عشاقها. فلو أردت أن تصبح ناشطا فأقصر الطرق هي أن تعشق البوب.

الناشط لا يخضع لقوانين البشر الفيزيائية. يمكنه الإضراب عن الطعام لمدد طويلة جدا لا يمكن للبشر غير الناشط أن يتحملها. ورغم ذلك يظهر قويا لم يفقد من وزنه ما يشير لامتناعه عن تناول الأطعمة! علاقة الإضراب مع الصحة علاقة عكسية لدى النشطاء بالمخالفة لكل النواميس الكونية، فكلما زادت مدة الإضراب كلما انعكس ذلك إيجابيا على صحته العامة.

الناشط له تاريخ حافل بالنضال، فيقول لك أحدهم على سبيل الفخر: كنت فين وانا واقف على سلم النقابة؟ لا يمكنك مجاراته في الإنجازات

النضالية على الإطلاق مهما حاولت. أنت لم تذهب قط للنقابة! لذا لا تساوى نفسك بهذا المناضل الذي كان يقضى يوميا فترة «البريك» وهو يتظاهر من أجلك.

الناشط دائما عميق وتمكن من إيجاد «المورتة» في قعر حلة المعرفة. لديه رصيد من البصيرة يكفيه للتنبؤ بكل أفكار أي صانع قرار ليخبرك بخفايا القوانين والقرارات وخطورتها على الحريات وقبل أن يتم سن تلك القوانين أيضا! مبهرون.

الناشط لا يعترف بالشخص المجرم، لا يعترف بالجريمة أصلا إلا لو كانت الدولة موضع اتهام! كل مخالف للقانون في نظره هو شخص كان بإمكانه أن يكون أفضل مما هو عليه الآن لولا الدولة البوليسية وسياسة القمع التي تجبر الجميع على مخالفة طبيعتهم السلمية الثائرة بالفطرة.

علاقة الناشط قوية بالقدر، فلا يصاب في مظاهرة ولا يستطيع أحدهم أن يخدشه في اشتباك رغم زعم تصدره للصفوف الأولى! سبحان الله يا أخي هل تعترض على المشيئة؟

الناشط محط اهتمام إعلامي كبير دائما، كل همسة تعتبر خبرا مهما يتصدر الصحف ونجم إعلامي بامتياز مهما كان حجم ما يتفوه به من خزعبلات، ومهما كانت آراؤه تحمل من السذاجة ما يكفي لإغراق العالم. والطامة الكبرى لو تم احتجازه أمنيا، لا يهم عدد ضحايا حوادث الطرق والأمراض وشهداء الإرهاب، كل هذا الهراء لايهم في سبيل الإفراج عن ناشط محتجز لأن الأولوية للثائرين كما نعلم.

الناشط هو المعادل الموضوعي لزمن المضارع المستمر، الثورة دائما مستمرة وهم دائما #مكملين! لديهم من القدرة على الاستكمال مالا تستطيع جميع معلبات مشروبات الطاقة على مقارعته.

أما أهم مزايا الناشط السياسي فهي قدرته على عقد مؤتمرات صحفية

داخل نقابة الصحفيين ليسب الجميع وينقل لنا آراؤه وخلاصة تجربته في الحياة على الهواء تحت سمع وبصر الجماهير العريضة بحجة حرية الرأي. حتى لو حاولوا التنصل من المسئولية كون تلك القاعات متاحة للإيجار فهذا الإجراء قد حول النقابات إلى قاعة أفراح! ومن حقي كمستأجر أملك من المال ما يكفي أن أدفع ليكون من حقي سباب الجميع أيضا باعتبارها وجهة نظري، ومن حق أي جماعة إرهابية تأجير قاعة أفراح النقابة لتحدثنا عن وجهة نظرها فيما تقوم به من إجرام، لربما كان لديها الحجة لإقناعنا!

لنتحول جميعا لنشطاء إذا! طلبة وعمالا وجنودا وموظفين ومواطنين حتى نتمتع بالمزايا التي يكفلها المجتمع لهذه الفئة ذات الشهرة والنفوذ بدءا من عرض صور سونار مولودك على شاشات التلفزيون حتى إمكانية تأجير قاعة أفراح نقابة الصحفيين لتحتفل بطهورهم على أنغام حماده هلال وهو يغنى لسبونج بوب .. بوب .. بوب.

قصص قصيرة .. جدا

كان محموالأزياء لابدق وهو يهتف فيشق صوته الجموع كأنه صوت لضمير حي. لكنه توقف فجأة وترجل من فوق أكتاف الثائرين فسأله صاحبه: في ايه؟ فأجاب: الزفت مش لاقط 3G!

***

مثيرة هي حين تقف أمام المروحة بشعرها بعد حمام دافئ فيتطاير رذاذ الماء كأنه عطر أبدى! وفى لحظة لا تنسى من الشغف قال لها زوجها المحب بلهجة شعرية: أيا حبيبة قلبي! ما كل هذا الدفء الذي تنشريه في أرجاء المكان؟ لابد أنك استهلكت كل المياه الموجودة في السخان!

***

كانت حبيبته في مزاج متعكر للغاية، وبدافع القلق والفضول ورغبة منه في تخفيف آلامها سألها: مالك؟ لكنها جاوبته باقتضاب: مفيش! ظل على حاله يسأل حتى نالت منه الشيخوخة وأقترب من عامه الثمانين! لكنه امتلك من الصبر ما جعله يسألها مرة أخرى وأخيرة قبل أن يسبقه ملك الموت: مالك؟ فأجابت وطقم أسنانها يتراقص بين فكيها من الغضب: أنت

بجد مش عارف إيه اللي مزعلني؟

***

الجمع كان صاخبا، وما إن أطل العروسان بهيئتهما الملكية على جموع الحاضرين وسط الحديقة الغناء، ساد الهدوء استعدادا لمراسم الزواج الأسطوري. وفي لحظة عابرة، مال الأمير جوردن ماثيوس على أذن زوجته الكونتيسة باتريشيا هاملتون هامسا: مش قولنا بلاش ميك أب أوفر كده؟

***

لم تنس يوما شغفها الأدبي، رغم كل ما وصلت إليه من مكانة علمية في مجال الفيزياء ظل حلم الكتابة يطاردها. وما إن حانت اللحظة التي طالما انتظرتها، أطلقت على أولى رواياتها الأدبية اسم:
حافية على جسر من الفلزات.

***

كان بحارا فريدا من نوعه، وكان أول من اكتشف وجود حورية البحر. لكنه وقع في حيرة مدمرة، هل يبيعها ليصبح مليونيرا؟ أم يتزوجها متحملا عواقب الاختلال الجيني لذريته ثم يندم أنه لم يبيعها حين لاحت له الفرصة ليكون مليونيرا؟

***

قالت له: ها! إيه رأيك في اللوك بتاعي؟
ظل يفكر قليلا وهو يخاطب نفسه «لو قلت لها أنها تبدو كالمهرجين بهذه الأزياء العجيبة لكانت آخر مرة تجمعنا معا! ثم قال لها بصوت مسموع:

واااااو! أنتِ رائعة! وعاد إلى نفسه مخاطبا ضميره «تعرفين إنني أكذب، لكنكِ لن تستطيعي أن تواجهيني بذلك يا حياتي!».

***

تبدلت ملامح وجهها سريعا بعد أن اعترف لها بحبه. صارحته أنها تكن له الاحترام وتجمعها به مشاعر أخوية نبيلة وأبدت استعدادها لأن يظلا كأصدقاء دون أن تتطور بينهما العلاقة، ثم استأذنت بتهذيب بالغ وودعته بابتسامتها المعتادة. حينها أدرك من أعماقه أنها اللحظة المناسبة لكي يسمع «مصطفى كامل».

***

مالت برأسها على كتفه وهما جالسان يستمتعان بالغروب من شرفة تطل على البحر في مدينة جمصة ثم تنهدت، وقالت له: بتحبني قد إيه؟
ربت على كتفها بحنان ثم قال: أيا حبيبة قلبي! أنتِ عمري، بس الأعمار بيد الله!

طريقك إلى النخبة

كان من المفترض أن أبدأ بطريقة الإعلانات: هاى إنت! عاوز تبقى نخبوي؟ نفسك تطلع في التلفزيون أكتر من الفواصل الإعلانية؟ إلى آخر ما تحفظه عن ظهر قلب. لكننا وجدناها طريقة مبتذلة خاصة ونحن في طريقنا لإعدادك لتصبح أحد أفراد «كريمة المجتمع»! لذا كان يجب انتقاء طريقة مميزة جدا. حسنا .. هاى إنت! عاوز تبقى نخبوي؟ نفسك تطلع في التلفزيون أكتر من الفواصل الإعلانية؟ إليك أسهل الطرق ليصبح حلمك حقيقة دون أية أرقام وهمية أو اشتراكات شهرية باهظة الثمن. فقط اتبع الإرشادات التالية:

الخطوة الأولى: الأزياء

لابد أن تكون واثقا أن ما ترتديه يترك انطباعا للمشاهد الذي ينتظرك أمام الشاشات أنك مختلف في كل ما يتعلق بمظهرك. إن كنت ذو جسم رياضي فارتد دائما قياسا أصغر من قياسك المعتاد حتى تبرز «العضلتين»، وإن كنت كبيرا نسبيا في السن عوض غياب عضلاتك بألوانك الزاهية خاصة في ربطة العنق، واحرص أن تكون أشبه بقطع طولي من فرخ ورق حائط. النقطة الأهم أن تبتعد عن البزات البنية، فهي تقريبا علامة مميزة لأعضاء

جماعة الإخوان! انج بنفسك ولا تضعها تحت وطأة مقارنات بصرية أنت في غنى عنها.

الخطوة الثانية: العمق

مدى ترقيك في أوساط النخبة يعتمد على نسبة اقترابك من قاع المعرفة، العمق مهم ياعزيزي. والعمق ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول هو عمق المصطلحات، فكلما كنت مقعرا كلما انعكس ذلك على مقدار نخبويتك. الألفاظ الواضحة لا تزيدك إلا هشاشة! تكلم عن الديالكتيكية، الراديكالية، إرهاصات الحركات البروليتارية. النموذج الديموقراطي الحالي يذكرك بممالك العصر الترياسي مثلا.

أما النوع الثاني من العمق فهو قدرتك أن تكون غامضا! تحدث من منطلق ألا يجب على أحدهم أن يفهم ما تعنيه على الإطلاق. جعبتك لابد أن تبقى عامرة بالألغاز الكونية، وحاول دائما الإشفاق علينا كمحدودي أفق لا ندرك حقيقة ما نحن مقبلون عليه من خطر داهم.

الخطوة الثالثة: الثقافة

ليس مهما أن تكون مثقفا على الإطلاق! المهم أن تعطي الإيحاء بذلك. تكلم دائما عن الصراع بين أصل الأشياء الذي يختلف عن مضمونها. ليس مهما أن نعرف ماهية الأشياء، المهم قدرتك على تأكيد أن أصلها يختلف عن مضمونها.

قم بتطعيم حديثك بمقتبسات من الأدب الروائي لما يملكه من سحر وهذه بعض الكليشيهات الجاهزة التي يمكنك الاستفادة منها: نظرية الشك دائما تستدعى شكسبير متجسدا في عطيل، وحالة الاستقطاب العدائية في المجتمع تستدعى الإخوة كرامازوف، أما إن كنت من ذوي الميول اليسارية فليس هناك أفضل من مكسيم جوركي وواقعيته الاشتراكية، إنه كنز! وبالمناسبة فليس من الضروري أن تقرأ كل هذه الأشياء، نحن كمدربين لم

نقرأ معظمها! تذكر أنك لست مثقفا بل تلعب دور المثقف ونحن ندربك على اتقانه فقط.

الخطوة الرابعة: الملل

لابد أن تظهر في كل مكان وفى كل وقت. حاول تأكيد قناعة المشاهد أن بإمكانه مشاهدتك تنزلق من صنبور المياه أو مختفيا في خزانة ملابسه أو حتى ظهورك على محطتين مختلفتين في نفس اللحظة. وهو التأثير الذي يمتد من المشاهد إلى ملاك المحطات الفضائية بالمناسبة، فلو وجدوا أن معدل انتشارك مرتفعا، تأكد أنهم سيتهافتون على ظهورك الممل حصريا على قنواتهم.

الخطوة الخامسة: الحدس

قدرتك على التوقع مهمة في طريقك إلى النخبة. لابد أن تشير أنك توقعت كل شيء وأن كل تغير مهم حدث في أي بقعة من الكون قد توقعته فعلا بل وكنت على وشك إصدار كتاب يؤرخ لتوقعاتك الملهمة في شتى المجالات. وتأكد أن لا أحد سيتذكر ما قلته عن كتب توقعاتك لكنهم سيتذكرون أنك توقعت.

هذه أهم ملامح برنامجك التدريبي الخاص بترقيتك إلى مصاف النخب، تمرن جيدا حتى تضمن مكانتك المرموقة بين كريمة المجتمع. وكن على يقين أننا لن نسعى خلفك لسداد ديونك القديمة فيما بعد، نحن أسمى من تلك الترهات بكثير!

رمضانك عندنا

رمضان! أتذكر بكثير من الحنين تلك الأيام الخوالي عندما كان يزورنا رمضان في شهور الشتاء! كل شيء من الماضي هو أيقونة للجمال مقارنة بحاضرنا التعس. لكن قبل أن يأخذني الحنين للحديث عن الماضي أعود بالدفة إلى رمضان. نحن – وبلا فخر – لدينا رمضان الأكثر إبهارا منذ الانفجار الكوني الكبير.

يبدأ الإبهار من ليلة رمضان الأولى حين تقابل ذلك الكائن اللزج الذي يسألك بمنتهى المرح: صايم ولا زي كل سنه؟ اعتقد أننا بحاجة إلى فتوى تجيز إقامة حد الإفساد في الأرض عليه! فأي إفسادا تعتقد أنه يضاهى جريمة السخف؟

أما عن روحانيات الشهر الكريم فحدث ولا حرج، نحن شعب متدين بطبعه! ففي النهار ومع اشتداد الحرارة التي أصبحت ذريعة وسببا لكل شيء ترى من السباب الفاضح ما يكفي لمضاعفة عقاب قوم لوط في قاع سقر، لكن لأننا متدينون فالوضع مختلف ودائما ما ينتهي كل شيء بجملة «اللهم إني صائم» هكذا ببساطة! ومع حلول أوقات الصلاة خاصة في

التراويح تجد الجميع يتسابق نحو المساجد، لكنهم يبحثون عن ذلك الإمام الطيب الذى ينهى الصلاة أسرع من بقية الأئمة.

في رمضان أيضا يخرج كل منا ذلك «الشرِه» الكامن بداخله، نحن لم نذق شيئا طيلة النهار، لذا لابد أن تكون وجبة الإفطار كفيلة بالإشباع البصري قبل كل شيء. لم نشرب شيئا أيضا! لذا وجب أن نجرع كميات وأصناف متعددة من العصائر. لقد أمضينا النهار نائمين! لذا لابد أن نكافئ أنفسنا ببعض الحلويات التي تعوض نقص الجلوكوز الذى لم نفقده من الأساس. ولأن رمضان جاء صيفا فهذا كفيل بحشو ما تبقى من شبه فراغ في المعدة بكيك الآيس كريم طبعا! وبعد أن نفرغ من التهام اسفنج الأنتريه يكون قد حان موعد السحور. وتعريف السحور طبقا للمفهوم الشائع هو تكرار نفس طقوس وجبة الإفطار، لكن الوجبة تنتهي دائما بالزبادي حتى لا تصاب أمعاؤنا الرقيقة بالحموضة.

ثم نتساءل باستغراب عن سر تحول كل منا إلى خرتيت يافع بنهاية الشهر! أما التلفزيون فهو حالة خاصة. فلو كنت تملك من الفراغ الكوني ما يكفي لأن تجلس يوما كاملا بلا طعام وبلا صلاة وبلا نوم وبلا دفن لمخلفاتك النووية فهو لن يكفيك لمشاهدة كل شيء.

نوعية المسلسلات نفسها مثيرة للاهتمام، فهناك نوع من السيناريوهات التي تستند إلى موعد إذاعتها وبالتالي فلا حرج من تقديم أي شيء لأن المشاهد قد أفطر بالفعل! وستجد أيضا السيناريو الوعظي الذي يقدمه كبار النجوم وكأنهم فطنوا إلى أنهم أصحاب رسالة فجأة! لذا تجدهم كالملائكة لا يخطئون أبدا، يعرفون كل شيء بعد أن اكتشفوا مسحوق خلاصة الحكمة، إنهم قادمون من «يوتوبيا» حرفيا.

أما النوع المستحدث فهو سيناريوهات الغموض، حيث يقتنع كل مؤلف أنه بصدد إنتاج النسخة الرمضانية من «الرمز المفقود» لكنهم يفتقدون

إلى الاعتراف بحقيقة أنهم لا يمكنهم لعب دور دان بروان لأنهم ببساطة ليسوا دان براون!

ثم إنك دائما على موعد مع وجبة دسمة من الكآبة والتفكك الأسرى والهبوط اللغوي الحاد والطلاق وجرائم القتل والاغتصاب وكأن المجتمع لم يعد لديه من النماذج ليقدمها سوى هذه الأمثلة التي يبرعون فعلا في تقديمها!

أما ما يثير الغيظ فهي برامج «الكاميرا الخفية» وتكرارها لنفس الوجوه كل عام بل وإصرارهـم على الاندهاش! منطقيا فقد أنهوا الاحتياطي الاستراتيجي للدهشة منذ قرن تقريبا وبات بحكم العادة وبمجرد تعرض أحدهم لأي موقف يخرج عن نطاق المألوف أنهم جزء من «مقلب» سخيف لكنهم دائما يُخدعون! كم هم كيوت! هم طيبون أكثر من اللازم ويسهل خداعهم كل مرة بطرق أكثر سذاجة من طريقة خداع الإخوان لشباب الثورة في أيام يناير.

أما الظاهرة الأحدث في عالم رمضان المصري فهي «انستجرام» الذي لابد أن يبقى شاهدا على براعة الشيف المعجزة التي أعدت كل هذا الطعام بمفردها. وهنا تشتعل وحدة المنطق في جهازك العصبي بسؤال بديهي جدا، لو أن كل هذه الصور حقيقية فعلا، لماذا تجدها دائما في «جوجل» ومذيلة بتوقيع لأم فلان؟

نحن دائما - وبحكم العادة - نحمل الأشياء بأكثر مما وُجدت لتحتمل، وشهر رمضان مثال بسيط. فبمجرد أن يأتي ذكر رمضان نستدعي صورة ذهنية مغايرة لحقيقة الشهر الكريم، وقد تحول من شهر للزهد والعبادة إلى وسيلة للمزيد من الاستهلاك! وبالقطع لا يمكنك أن تغير من سلوك البشر بين لحظة وأخرى لكنك دائما مطالب بمناشدتهم بالاعتدال.

الكتالوج

لقد تربى الطفل المصري غالبا على أفلام الكارتون، وبالكاد لم يلفت نظره في مجمل الثراء القصصي الذي قدمه لنا الرائع «د. نبيل فاروق» سوى لكمات أدهم صبري الرباعية المضادة لجميع قواعد الفيزياء والتي تنفجر في وجوه وأمعاء الأعداء كالقنابل العنقودية. دفع التأثر بأفلام الكارتون أحد الحركات الشبابية الشهيرة إلى إطلاق عبارة عبقرية في مدى إثارتها للشفقة! لقد قال هؤلاء العباقرة أن الجيل الذي صبر مئات الحلقات في كارتون كابتن ماجد وهو يركض داخل منطقة الجزاء ليحرز هدف البطولة، لن يمل من وجود المجلس العسكري وسيقاومه حتى يرحل. منطق مبهر فعلا!

ولأنه في الأصل إنسان كارتوني تطور بفعل الزمن تجده قد تخلى راضيا عن جزء رخوي لزج غير ذي نفع يقبع في تجويف الجمجمة يسمونه «المخ» ووضع مكانه حنجرته، ويمكنك مراجعة عصارة أفكارهم إبان أحداث الشغب المتعاقبة طيلة السنين الماضية لتتأكد.

لقد توصل أحدهم أن «الجيش» يضربهم بغاز الفوسفور – الذى يحولك لكتله من الفحم بالمناسبة - بل ويسربونه لهم من فتحات المترو! العبقرية فى هذا السيناريو الرائع تكمن فى أن تلك الغازات كانت تطلق فى محيط مناطق سكنية. وهنا فشل العباقرة فى إيجاد حل لمعضلة أن الغاز كان يستهدف المتظاهرين فقط! ليبدو وكأنه معدل بطريقة الذكاء الصناعي لتجعله يتوغل فى جيوب المتظاهر الأنفية، بينما يفقد تأثيره تماما عند أنف مواطن غير متظاهر. ومع ذلك وبعناية إلهية خالصة لم يمت أحدهم به، بل كان تأثيره كتأثير الغازات المسيلة للدموع في تحد واضح لقوانين التفاعلات الكيميائية!

ولأن الكارتون هو محور كل شيء تجدهم متمسكون بالقيم والمثل الإنسانية أكثر مما يتمسك بها المعلم رشدان وهو يحاضر لسلاحف النينجا في مجاري العاصمة. هم يبحثون عن الحرية وكرامة الإنسان المهدرة والحكم المدني الحضاري. لكن راجع نظرة من حولك لحقوق المواطنة أو لطريقة حياتك أو لدخلك أو لوجهات نظرك وحبهم المرضى فى التدخل فى شئونك وتصنيفك والوصاية عليك وعلى تصرفاتك ستجد أنك وسط ناد للمتحذلقين حرفيا، حيث الفاشيون يحدثونك عن التسامح، والرجعيون يسوقون لك مفهوم الحريات! ولاحظ أن جميعهم قد اتفقوا ضمنيا أن الرئيس الخالد مرسى كان بمثابة طموحهم الثوري المنتظر! بل واحتفلوا بفوزه في ميدان التحرير بعد أن وصل إلى سدة الحكم بقوة الليمون الفريدة. لذا كان يجب أن تتيقن أن هذا ما كانوا يستحقوه فعلا لتتركهم لمصيرهم المشرق لولا مسئوليتك التاريخية وواجبك الإنساني تجاه أجيال قادمة التي أبى ضميرك أن يخرجوا وسط هذا العفن.

ماذا عن مستوى ثقافتهم؟ هم أعلم أهل الأرض بلا منازع، يقول أحدهم صارخا في وجه صاحبه الذي بدأ يفقد زخمه الثوري: ألم تسمع ماذا قال

الجبرتي عن مصر؟ فيبتسم لأنه عرف أن الجبرتي بالخبرة السماعية لن يقول حرفا مخجلا عن مصر. ولو جاوبه بالنفي لكانت الصدمة! ذلك لأنه استخدم نفس الأسلوب الذي اتبعه معه شخص آخر سأله أيضا وهو يصرخ مثل أحمد عبد العزيز في مسلسل سوق العصر: هل تعرف ماذا قال الجبرتي عن مصر؟ فأطرق برأسه مبتسما لأنه بالإيحاء في الموقف تأكد ان الجبرتي رجل ابن بلد لن يقول شيئا مخجلا عن مصر. ويبقى السؤال، هل يعرفون ماذا قال الجبرتي فعلا؟

في الخارج يقرأون لأطفالهم القصص ليتقبلوا بعد ذلك أسماء بحجم برنارد شو وديكنز وروبرت لويس ستيفنسون. كانت هذه الرسوم والحكايات هي البداية ليعرفوا قيمة الكتاب وأهمية الثقافة التي تؤدى بهم لأشخاص متسقين مع ذواتهم مؤمنين بأوطانهم وبحتمية الدفاع عنها مهما اختلفت توجهاتهم السياسية. أما هنا فكانت تلك القصص مثار اعجابهم لأن جل ما تعلموه هو أن أبطالها لا تستطيع الشرطة الإمساك بهم وبإمكان كل فرد فيهم أن يصرع عشرة رجال ويحطم أنوفهم بلكمة واحدة، فمن الطبيعي أن ينتهي به الأمر ممسكا بزجاجة مولوتوف في مواجهة قوات الأمن.

باختصار لا يمكن لجفنك أن يغفل وتنام مطمئنا على وطنك بين يدي شخص كارتوني تعلق بأبو الغضب أكثر مما تعلق بمازنجر نفسه، ووجد في مشرط قدوته رغم أن محمد منير نفسه غنى لبكار. لأن هذا الكارتوني المتحذلق بعدما ادعى النضوج تصور أن ما اندفع إليه من تخريب - بقصد أو بغير - على مدار سنوات هو ثورة مجيدة! بل وانتخب مرسى متخيلا أن الشرير يمكنه أن يقدم أفضل ما لديه لو حصل على فرصة.

L3

أشياء غير مهمة في الحياة

١- الزواج

V3

اسم «رام» من الأسماء المهمة فى السينما الهندية. ويكتسب هذا الاسم أهميته من طريقة نطقه الدرامية حين تحين لحظة النهاية فيقوم «شودرى كومار» العجوز الشرير بمناداة البطل الذي يكون غالبا اسمه «رام» قائلا: هاى رااام! بصوت درامي عميق يغلب عليه طابع التحذير المغلف بثقة عمياء في الانتصار. لكن السينما الهندية لا تعترف بانتصار الشرير، لذا قررت أن ألعب دور الشرير وأترك لك دور «رام» الطيب، فربما تلعب موروثاتنا الثقافية دورا في قلب الموازين. عزيزي رام .. استعد لمشهد النهاية.

هناك بعض الأشياء غير المهمة في الزواج والتي تضطر لأن تدفع مقابلها مبالغ طائلة دون أن تجنى منها أي منفعة تذكر كما يقول الاقتصاديون. النيش مثلا! النيش باختصار هو دولاب خشبي عملاق ذو واجهة زجاجية تتيح لـ«الضيوف» مشاهدة أطباق وملاعق وأطقم كاسات غير مخصصة للاستعمال. لقد قامت أسرة العروس بشراء كل هذه الأشياء فقط لتوضع في النيش حتى يعرف «الضيوف» أنهم كلفوا الزيجة بشكل جيد، أما الأشياء التي يتيح لك عرف الزواج المصري استخدامها تكون غالبا مصنعة من

البلاستيك أو الميلامين وتقبع غالبا في غياهب المطبخ. ومن الأشياء الجديرة بالاهتمام فعلا أن هذا «النيش» له أصوله الفرعونية، حيث كان الفراعنة يسمونه دولاب القرابين! وهذا يفسر لك سر تقديس النيش ومحتوياته، بل يجعل عدم الاقتراب منه أو من محتوياته أمر منطقي وبديهي جدا. إنه مخصص للحياة الأخرى!

غرفة الأطفال أيضا هي مثال لروحانية المصريين. الكل يتوقع أنه سيرزق بأطفال قبل أن يتزوج، ويتسارعون في انتقاء أحدث صيحات الموبيليا والدهانات ورسوم الكارتون التي تنتمي لجيل الثمانينيات والتي يقتنعون أنها ستكون موضع ترحاب من طفل المستقبل وليد الجيل المختلف الذي سيكبر ليكون له شخصياته المفضلة بعيدا عن هوس والديه بأن يعيشا طفولتيهما في غرفته من جديد!

ولا تقتصر روحانيتهم عند هذا الحد، بل تمتد لأن تكون الغرفة مكونة من سريرين! وكأنهما أيقنا أيضا أنهما سيرزقان بطفلين من نفس الجنس ولن يضطرا للفصل بينهما فيما بعد، ودون وضع أدنى اعتبار لاحتمال أن ينجبا طفلا واحدا، أو ثلاثة، أو ربما يكون أحدهما غير قادر على الإنجاب من الأساس!

ماذا عن الفرح؟ هو باختصار عبارة عن يوم صاخب تدفع له تكاليف باهظة ليستمتع أصدقاؤك بصنع الثقوب في بنطلونك متظاهرين أن لا أحد يراهم وانهم فى قمة العبقرية، ولكي تتسنى لهم الفرصة فى مغازلة صديقات العروس اللاتي بدورهن يتبارزن فى اختراع أكبر كمية من الطرح فى ربطة واحدة بطريقة تذكرك بأدمغة المخلوقات الفضائية فى فيلم هجوم المريخ! وهن دائما مشغولات بفستان العروس والشموع وتعديل وضع الطرحة كل خمس ثوان! وجميعهن بالمناسبة يعانين حالة متقدمة من الرهاب المجتمعي. فكلما تسلطت أضواء كاميرا الفيديو عتيقة الطراز

نحو احداهن لتكتشف فجأة أن هناك رسالة لم تقرأها على المحمول أو أن شيئا وقع منها فتنزلق تحت الطاولة أو تكتفى بتغطية وجهها ببراءة.
المعازيم أنفسهم حالة تستحق الدراسة، فكأنك دعوتهم لحضور زفافك لتقييم خدمة البوفيه!
فالساليزون يبدو مهترئا وقطعة البيتزا كانت خالية من البسطرمة. أما الجاتو فهو رديء مليء بالفانيليا بلا قطعة كاكاو واحدة لأنك عريس منحط، سافل وبخيل.
ثم يتساءلون عن لحم «العجل» الذي ذبحه جدك!؟ وهنا يظهر مصطلح «ألاضيش» وهم مجموعة البشر الغامضة التي تفوز سرا دون بقية المدعوين بلحم عجل جدك.
ولا يتوقفون عند هذا الحد فقط، لكن دائما العروسة قبيحة وفستانها أقصر من اللازم ومكياجها صارخ عن اللازم ولها ضرس نخره السوس استطاعت إحدى المخضرمات العارفات ببواطن الأشياء أن تكتشفه وهى تلتقط معها صورة تذكارية. كل تلك الملاحظات وهم ممسكون بزجاجات الكولا يجرعون منها فى نهم ولا يتوقفون عن مناداة الجرسونات بحجة أنهم لم يحصلوا على «حاجة ساقعة» حتى الآن! أما ما يقتلهم غيظا هو همساتك فى أذن زوجتك، فيكادوا يدفعون من أعمارهم لمعرفة ما تقولونه فى تلك اللحظات.
اللحظة الكبرى تأتى عند تقطيع التورتة وهي لحظة مفضلة لدى الكثيرين من السخفاء. وهي عندما يتعمد ذلك «الإتم» الذي يمسك بالشوكة تقريب المسافة بين العروسين ليوهم الحاضرين أنه نمس! حتى العريس يوهم نفسه انه مغلوب على أمره كل ما يريده هي تلك القطعة الصغيرة من الكعكة وكأنه يتضور جوعا! وعندما يحدث ما يريده الجميع وتتلامس شفاه الزوجين يشير السخيف إياه للحضور بالتصفيق وكأنه فاز لتوه

بكأس العالم مثلا!

أما العريس فترى فمه وقد اتسع لأذنيه وهو يلوح بمنتهى البراءة قائلا: غصب عنى غصب عنى! فعلا؟ والعروس المسكينة التي تحاول اقناعنا انها تفاجأت تقوم بمسح فمها بهيستيريا وكأن أصابها الجذام فجأة! لماذا كل هذا التصنع؟ انتم متزوجين بالفعل!

أما الذكرى العظيمة وهي شريط أو «سي دي» الفرح نفسه فهو ينفسه.ن قائمة محتوى سخيف. نفس المقدمة فى كل شريط وهى عبارة عن قرص شمس وقت الغروب تظهر عليه تدريجيا وجه زوجتك العزيزة، ثم فاصل طويـــــــل مع مجموعة مختارة من الهبال الحركي يقوم به أصدقاؤك طبعا وبجانبه وبحكم التاريخ والعادة حلقة صغيرة من صديقات المدام، وكلهن خجولات وكلهن يرقصن ببراعة سامية جمال فى نفس اللحظة! ثم يعود وجه زوجتك للظهور بخدع رخيصة على بوكيه ورد تصورت معه ألاف الزوجات من قبل.

كل ما ستناله من هذا اليوم الصاخب هو كوب عصير عطن الرائحة ومسموح لك برشفة واحدة فقط لزوم التصوير ثم يقوم مدير القاعة بسحبها منك وكأنها عهدة! أنت في النهاية تستأجر مسرحا لإظهار «المعازيم» لمواهبهم في النميمة وقدراتهم الخرافية في أداء مهارات النفاق الاجتماعى.

هذا الترتيب التنازلي يقودني للحديث معك عن أهمية الزواج نفسه .. الزواج هو أكثر الأشياء غير المهمة في الزواج. لقد ابتلعت الطعم بكوب عصير وقطعة بتيفور وجملة تسمعها على سبيل المجاملة أو المواساة حين يقول لك والدها بصوت درامي عميق: احنا بنشترى راجل! وهى من الجمل التي لا أجد لها تفسيرا منطقيا! لماذا يريد أن يشترى راجل؟ لو كان

غرضه التوفير وشراء سلعة معمرة يمكنه أن يشترى شاشة مسطحة فائقة الدقة، ستفيده أكثر من «الراجل» الذى يود أن يشتريه! علي الرام.مكنه أن يشاهد عليها مباريات كأس العالم ودوري الأبطال! لكنك لن تدرك حجم المأساة إلا بعد أن تغوص في الوحل. عندها سيبدأ الحديث عن النيش وغرفة الأطفال وتفاصيل الفرح ومكان قضائكم لشهر العسل.

لاحظ أنني لم أذكر لك أي شيء عن بيت الرعب وأفعى المامبا السوداء المسمى مجازا «طنط»! إن «طنط» ليست مجرد فرد، فهن كثيرات بالمناسبة، ويملكن من الأساليب ما يأخذ حياتك إلى قاع بحيرات البؤس. سأتركك – لو قررت أنك لا تهتم - لتواجه أبشع ما يمكن لكوابيسك أن تتخيله.

عزيزي رام – بصوت درامي عميق – قبل أن تصرخ في وجهي محدثا فراغا هوائيا يتسبب في سقوط الصخرة العملاقة فوقنا لأموت ثم تنجو أنت بمعجزة إلهية كعادة أفلام بوليوود. قف وقفة يذكرها لك التاريخ وحاول أن ننحى خلافاتنا جانبا ونتفق أن الزواج ليس وسيلة لإشهار إفلاسنا! نحن نتزوج لنبدأ حياة، لا لكي نظل نسدد في فواتيره لسنوات.

٢- الحب

وابنيلي جسرا من رائحة الليمون .. وضعيني مشطا عاجيا في عتمة شعرك وانسيني!

يصف الرائع نزار قباني في المقطع السابق شطحات رومانسية خلابة بحق. وتكاد تقترب من أن تكون عبارتي المفضلة في الحب. ولكن هل وجد أحدكم الرغبة فى النظر للجانب الآخر من الكلمات؟ أي نظر إليها بواقعية مجردة؟

تخيل أن في الحقبة التي يجلس فيها خيرة علماء ناسا لتحليل ما إذا كان سطح المريخ يصلح للزراعة أم لا يقوم البعض ببناء جسور تمتد برائحة ثمرة الليمون والتي لا يمكن طبعا استعاضتها بروائح مثل (هيريرا ٢١٢) أو (جي فنشى بلاي) لا بد من الليمون لسبب ما لا يدريه سوى نزار قباني وحده! هذا لو استثنينا نموذج جسر الليمون السياسي الذي بزغ فيه نجم النشطاء السياسيين المصريين على وجه الخصوص.

كما أننا لو تغاضيينا عن الشق الأول يأتي الشق الثاني بمغامرة غير محمودة العواقب عندما يقرر العاشق الجلوس فى شعر محبوبته خاصة لو كانت لا تستعمل «هيد آند شولدرز»! فأنت مقبل على مخاطرة بكل المآسي التي

يمكن أن تتخيلها فعلا.
الغريب أن كل منا يرى من يحب فى أبهى صوره فقط دون أن يتساءل أحدنا هل ما نحن فيه الآن علاقة حب حقيقية أم مجرد حالة أخرى من التعود نفرضها على أنفسنا بدافع التجربة واستنادا على الموروثات المرئية من كل ما هو محيط بنا؟ ففي أي لقاء أو مكالمة لابد من اضافة بعض (وحشتني أوى) على قائمة المقادير فهي لها نفس تأثير الكاري فى المطبخ الهندي. لماذا المطبخ الهندي؟ لاحظ أنك ما زلت تلعب دور «رام» الطيب وأنا ما زلت ألعب دور «شودرى كومار» العجوز الشرير، كنت أظن هذا واضحا!
تخيل أنها رأتك فى هيئتك الطبيعية؟ خرتيت بشرى يقوم بأصوات اعتراضية كل خمس كلمات وينفث دخان الشيشة كـتنين. تعمل نهايات أطرافه الظفرية لا اراديا وتعبث فى أي ثقب فى وجهه. يشخر كجرار ولا يستطيع التحكم في غازاته أثناء النوم.
ماذا لو كنت رأيتها أيضا فى هيئتها الطبيعية بعد ان تتخلص من كمية المساحيق التي تريد أن تبدو بها أقرب إلى إيميلي بلانت أو صوفي مارسو؟ مجرد رأس بشرى أشبه بجماجم قبائل الماساى تعلوه طبقة كثيفة من سلك المواعين تعرف مجازا بالشعر. وهى كائن يعشق المشي بلا حذاء، وهو أمر كاف لتفسير كمية التشققات أسفل القدمين.
ومن خلال خبرتي البسيطة وقياسا واستقاءا من تجارب المحيطين توصلت لتلخيص لعلاقات الحب المعاصرة، فعرفت عدة أنواع للحب:
الحب الرومانسي: تجلس معها على أحد الشواطئ، تنظران للغروب فى شرود متظاهران بالهيام والشوق، تهديها دبدوب أحمر فى عيد الحب وتهديك ساعة يد تتوقف بعد يومين من الاستعمال لأنها من النوع الرديء. محور حديثكم دائما عن سينجل «محمد نور» الجديد وكيف أن

كلماته تنطبق عليكما بالتحديد.

الحب الثوري: تعجب بها فى صالة الديسكو فترقصان حتى النفس الأخير، تزج بها فى سيارتك وتجوب بها الشوارع الفارغة وانت تغنى لها بالإنجليزية ثم تختفي بها وسط اشجار المنتزه أو فوق المقطم أو في أي مكان يكون فيه الشيطان ثالثكما. تتبادلون الأنفاس من سيجارة محشوة وهى ليست محشوة بالكراميل طبعا! ثم تتبادلون النقاش عن ضرورة ألا تتطور بينكما تلك العلاقة المفتوحة لأكثر مما وصلتما إليه! لأن الزواج أمر مستبعد طبعا! وكلاكما لن يقبل بمثل هذه القيود الاجتماعية.

الحب الواقعي: تعجب بها فى قاعة المحاضرات، تذهب للحديث معها متظاهرا بخفة الدم فتعجب بك لأنك الوحيد الذي فعل معها ذلك او أكثرهم مللا فى اظهار خفة دمه! تبدأ العلاقة بداية كاذبة حيث تقنعوا انفسكم أن ما بينكم صداقة بريئة لكنها ستتحول بعد أول فالنتاين الى علاقة حب. لكنها ستتحطم طبعا بعد التخرج لأنها ستقبل أول عريس يتقدم لها لأنك تافه لا تتحمل مسئولية.

الحب العشوائي: هي علاقة أشبه بعلاقة الثدييات المتطورة مثل قرود البابون، حيث يقوم كل ذكر باختيار انثاه التي لم يكن يعرفها من قبل. وهى علاقة تحكمها الهرمونات من البداية كهرمون الفاسبوريسين المسئول عن نشأة قاعدة التعود الذى سيتيح لكما التخيل بأنكما زوجان رائعان! وهرمون الدوبامين المسئول عن احساسك بالسعادة المزيفة الناتجة عن احساسك المزيف بالحب الذى هو «تعود» في الأصل. وهذا النوع يمثل مركز متقدم جدا فى الترتيب الإحصائي لعلاقات الحب.

الحب الحقيقي: وهو ظاهرة غير قابلة للقياس وعلاقة أكثر عمقا مما تبدو عليه.

ماذا عن الحب في منطقة «الفريندزون»؟ كل منكما يتنازل عن كيانه

المستقل ليعمل في وظيفة سكرتير لدى الطرف الآخر. كشكول المحاضرات دائما جاهز، الهاتف دائما مشحون ومستعد لإرسال المكالمات لمدة مفتوحة من الدقائق، السيارة تحت الطلب، تتلاشى منطقة الأسرار الخاصة – من طرف واحد – على أمل أن يكون هذا التلاشي سببا في التقارب المنشود الذي لن يحدث! والمشكلة أن لا أحد يقتنع بالنهاية المنطقية لعلاقة كتلك أبدا! الكل يصر أنه سيغير المعادلة التاريخية لصالحه، لكنكم تفشلون في النهاية. ورغم النهاية المتوقعة للأحداث فيا للغرابة أنكم تشعرون بالصدمة!

حتى الصدمة أيضا لا تخلو من هوس تكرار الموروثات البصرية وافتعال التراجيديا والدراما. حيث تجلس المسكينة وحيدة في غرفتها تلتهم أطنان الشيبس وتفرغ سوائلها الأنفية ودموعها في عدد لا نهائي من المناديل.

أما هو ولأنه فرد ضمن مجتمع محافظ ومتدين بطبعه لن يدمن الخمور طبعا! لكنه سيشرب أي شيء لكي ينسى حتى لو كان مجرد شاي مغلي! المهم هنا هو الإيحاء.

وبعضهم يتجه للمغالاة في إثبات معاناته الملحمية ليقوم بتسويد مئات الصفحات من الشعر الرديء الذي سيقرأه بعد أسبوع من المأساة ليقول في نفسه: ما هذا الكلام الفارغ؟

هل فكر أحدهم يوما في طبيعة الشعور الذي يراوده تجاه شخص آخر؟ العلاقات الإنسانية معقدة ومتشابكة إلى حد مثير، منها الحب، الصداقة، الانبهار، الإعجاب، وأحيانا تبحث عمن يحتويك. كل هذه التيارات الشعورية يفصل بينها خيط واه جدا متى عرفت كيف تميزه تمنيت أنك لم تكن لتستطيع فعلا! لأنك حينها ستعرف الفارق، وهو ما سيفصلك عن خيالك للأبد.

في النهاية لا أحد في حاجة للافتعال أو المغالاة أو الركض خلف سراب طمعا

في الإحساس بشعور معين ولو على سبيل التجربة. كل ما تتمناه سيأتيك، ستشعر به، حينها ستدرك أنك لم تجرب شيئا كهذا من قبل. عزيزي رام.أيا. عن خداع نفسك قليلا وفكر جيدا قبل أن تشتري هدية الفالنتاين القادم.

سينما الثورة

بسنت! أيا .... ليس الآن، اتركي ما يشغلك قليلا واقتربي، سأحكي لكِ فكرة مهمة جدا! إن حلم الكتابة السينمائية مازال يراودني. لذا سأترك تجربة الرعب جانبا الآن وسأحاول أن أجرب شيئا مختلفا. أولا سيكون الموضوع عن ثورة يناير المجيدة! بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا معها، مجرد ذكر اسم الثورة هدف مهم للتسويق كما تعرفين. المهم.يلم الثوري الذي سيحكي بطولات الميدان سيصنع أرباحا خيالية! لكن المشكلة التي تواجهني الآن هي المدرسة السينمائية التي سأتبعها في الكتابة! لذا فقد لخصت بعضا من مسوداتي المبعثرة لنتناقش فيها معا، مع احتفاظي بحق اتخاذ القرار النهائي طبعا!

المهم .. دعينا ندخل في صلب الفكرة:

فيلم أمريكي:

تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار أنهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! ترسل لهم مدرعات تأسر مائتي ألف من الثوار ويحتجزوهم فوق سطح ناطحة سحاب. يخرج أحد المقنعين من قلب الميدان يحث الجميع في خطاب حماسي ملهم على الثبات وأنهم #مكملين مهما كان! ويتقدم الصفوف نحو ناطحة السحاب، وبرغم سيل الطلقات التي تستهدفه لن تصيبه إلا واحدة فقط وفي كتفه، بينما هو لا يخطئ رأس أحدهم بمدفعه. يقوم بفك شفرة الباب الذي

يحتجزون خلفه الثوار بعد أن قام بتفجير مخزن الذخيرة ويحررهم وسط صيحات الإعجاب والتصفيق، ثم تسرع نحوه فتاة سنكتشف أنها حبيبته لتنزع قناعه وتقبله بحرارة حتى تبدأ التترات في الظهور.

فيلم مكسيكي:
تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار أنهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! فترسل لهم مدرعات مخبأة بعناية في علب جيتارات سوداء أنيقة لتقوم بتفجير الميدان وأسر مائتي ألف من الثوار. يخرج أحد رعاة البقر من وسط الميدان وهو يضع خلة أسنان بين شفتيه ليلقي خطاب حماسي ملهم ويحثهم أنهم #مكملين مهما كان! يقوم ببعض الاتصالات مع أصدقاء الشقاوة القدامى ليتجمعوا ويتوجهوا نحو مبنى وزارة الداخلية المكسيكية حيث يحتجزون الثوار ليقوموا بتفجير المبنى بالكامل بما فيه حتى الثوار! لكنهم يأسرون الوزير ويعودون به للميدان وقد أشعل كلٌ منهم سيجارا كوبيا فاخرا احتفالا بالانتصار.
فيلم صيني:
تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار أنهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! وتتبع الثوار نحو الغابات في مدرعات سيخرج منها مائتي ألف جندي في أزياء مدنية مزركشة وهم يصرخون: جواااالالالالا وتبدأ المعركة بينهم وبين مائتي ألف آخرين من الثوار. وما إن يبدأ الثوار في الانسحاب وفقدان الامل في الانتصار يخرج لهم النينجا الملثم المجهول من بين حقول الخيزران وهو يطير فوقهم جميعا ويكيل لهم اللكمات حتى يتمكن من أسر جميع الأربعمائة ألف مقاتل ويصعد بهم نحو قمة الجبل حيث المعلم العجوز الذي كان يراقب

المشهد من البداية وهو يأكل الأرز البسمتي بالعصي. يبتسم العجوز في ثبات وينزع عن صدره قلادة الكوبرا الذهبية ويعطيها للنينجا الملثم المجهول ليصبح هو المعلم الجديد.

فيلم هندي:

تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار انهم نجحوا أخيرا وسط مشهد احتفالي يتخلله استعراض. قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! أيا.شهد غاضب يتخلله استعراضا. تقوم الشرطة بإرسال مدرعاتها المحملة بمائتي ألف جندي تنجح في أسر مائتي ألف من الثوار وسط مشهد عبثي يتخلله استعراض. ثم مشهد زووم سلو موشن على رئيس الشرطة وهو يصوب مسدسه نحو «شانكر ديفيداس» قائد الثوار حتى يصيبه في قلبه مباشرة وسط مشهد حزين يتخلله استعراض. وبعد عشرين عاما تنجح «مادهو راج» حبيبة شانكر في تقديم قائد الشرطة الفاسد للمحاكمة وسط مشهد مؤثر يتخلله استعراض. هنا يفجر شانكر المفاجأة ويقتحم قاعة المحكمة وصدره مازال ينزف ويقدم للقاضي «فلاشه» قد سجل عليها أحداث فض الشغب الدموية ليبكي الجميع ويحكم القاضي على قائد الشرطة بالسجن مدى الحياة لتعج القاعة بالتصفيق وسط مشهد مبهج يتخلله استعراض.

فيلم إيطالي:

دخان سيجارة كثيف يخرج من خلف كرسي نجهل من يجلس عليه لكنه يرتدي خاتما ذو طابع مريب وهو يشاهد التليفزيون حيث انسحبت الشرطة من الميدان وخال للثوار أنهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! يقوم قائد الشرطة الفاسد بإرسال رسالة إلى الدون «تويكسيانو» ليخبره أنهم بحاجة للمساعدة. لكن قبل أن تصل الرسالة إلى الدون يقتله أحد أفراد عصابة ما وينقل الرسالة

إلى الدون «ماندولينى» الذي يأخذ الرسالة بدوره ويدخل إلى الغرفة حيث يجلس الرجل ذو الخاتم الغريب ليقرأ ما فيها ثم يقول: أغبياء! لم يعرفوا بعد أننا من نتحكم في مصير اللعبة. ثم يضحك ضحكات متقطعة شريرة.

فيلم روسي:

تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار انهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! يجلس رئيس الشرطة مع رئيس الثوار ويقرران أن يلعبا روليت روسي على مصير الثورة! ومع أول ضغطة زناد يموت رئيس الثوار لأن رئيس الشرطة كان خبيثا وكان قد عبأ خزينة مسدسه بالكامل. ولأن رئيس الثوار كان أشد خبثا واشتم رائحة الخيانة مسبقا لذا فقد كلف أحد معاونيه أن يجلس على سطح إحدى البنايات ممسكا بـ آر بي جيه ليطلقه في حال حدثت أي خيانة. وبعد أن مات رئيس الشرطة إثر الانفجار تقتحم المدرعات المحملة بمائتي ألف جندي للميدان وتقتل كل من فيه ثم تعلن الاستقلال.

فيلم جاسوسية بطولة نادية الجندي:

ينسحب الثوار من الميدان ويخال لقوات جيش الاحتلال أنهم نجحوا أخيرا! يمسك «بن حاييم» قائد القوات بهاتفه ويتصل بمجهول ليخبره أن الوضع تحت السيطرة وعليه أن يطمئن القيادات. ثم ينادي على سائقه «بنشولح» ليوصله إلى المنزل. وفي هذا الوقت تقوم نادية الجندي بنسخ كل ملفات القيادة في منزل بن حاييم على ميكروفيلم، لكن الوقت لن يسعفها طبعا لتفاجأ بـ بن حاييم يقف أمامها وشياطين الجحيم تتراقص أمام عينيه! تحاول نادية تدارك الأمر وتخبره أنها كانت تبحث عن «فص ثوم» وقع منها وهي تعد للملوخية! فيقول لها بغضب: ملوخية يا بنت الـ *#@٪& !! ثم يصرخ مناديا والزبد يتطاير من بين شدقيه: يا عزراااااااا.

تفيق نادية في قبو مجهول وعزرا يتلذذ بتعذيبها واقتلاع أظافرها، لكنه يتوقف عن التعذيب وينظر لها نظرة ذات مغزى ويقترب منها وهو يفتح أزرار قميصه مثل «فرج» في فيلم «الكرنك». لكن نادية كانت مستعدة وأحكمت إغلاق فكيها على أذنه حتى قضمتها كاملة، ثم تحل قيودها وتهرب لتسلم نفسها إلى «كمال الشناوي» رحمه الله الذي سنفاجأ أنه هو الذي كان يلعب دور «موردخاي حنانيا» سايس جراج الموساد! ثم يعودا إلى مصر ليتم استقبالها استقبال الفاتحين في المطار بعد أن تمكنت من الحصول على كل المعلومات المطلوبة.

فيلم إخراج خالد يوسف:

تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار أنهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! لكنهم قرروا تأجيل المواجهة. يظهر «توشكى» ليجلس بجوار جندي أمن مركزي يعطيه سيجارة وهو يقول إنهم يتحملون ما لا طاقة لهم به! ثم يدعوه لحضور حفل زفاف شقيقته في الحارة هو وكل زملاؤه من المجندين للترفيه عنهم. يبدأ الفرح بمغني شعبي شهير يتراقص الجميع على ألحانه المزعجة، ويظهر في الكادر بعض المدعوين ممن لهم لُحى خفيفة وأحدهم يقول لزميله بلهجة خشنة: دول ناس تملك منهم الفجور والفسق! بس معلش، نجاملهم في سبيل التمكين! وفجأة تظهر «غادة عبد الرازق» مع زوجها ضابط الشرطة والذي بمجرد ظهوره يأخذنا السيناريو لمشاهد فلاش باك حيث كان يقوم نفس الضابط بتعذيب توشكى ويقوم بإطفاء السجائر تحت إبطيه! يغلي الدم في عروق توشكى ويهجم عليه ليوسعه ضربا، ثم يبدأ المشهد بالاتساع حتى ينتهي الكادر في ميدان التحرير وسط هتافات المتظاهرين من جديد.

فيلم إنتاج السبكي:

تنسحب الشرطة من الميدان ويخال للثوار أنهم نجحوا أخيرا! قيادات الشرطة الفاسدة لن تسكت عند هذا الحد طبعا! لكن دورهم في السيناريو انتهى عند هذا المشهد. يقف «محمد لطفي» على باب محل الكشري الذي اسمه «التحرير» طبعا ويظهر من الداخل صوت أغنية حماده هلال «شهداء ٢٥ يناير ماتوا في أحداث يناير» وما إن تظهر «بوسي» حتى يغازلها ويقول لها: إحنا بقينا بعد الثااورة، أبوكي لو موافقش هاخلعه، هاخلعووووه! تضحك بدورها في ميوعة وتصعد مسرعة للبناية لتفاجأ بـ «محمود الليثي» يغنى لها فتنظر له باشمئزاز وتصفعه. على سطح العمارة يجلس «سليمان عيد»و «علاء مرسي» يشربان الشيشة، ينضم إليهم «الليثي» من جديد ليغني فيصفعه علاء مرسي أيضا! وفي يوم زفاف لطفي وبوسي تظهر «صافيناز» لترقص وسط المعجبين فينضم إليها «الليثي» ليغني فتصفعه وتترك الفرح! ثم يقوم «الطرف الثالث» بمهاجمة الحارة فجأة! وبعد أن ينجح أحدهم في صفع «الليثي» ينقض عليهم أهل الحارة ليطردوهم وسط رقص وزغاريد الجميع. يدخل «السبكي» في الكادر ليسود الصمت، ثم يقول: إيـــــه! إيه الدوشة دي!؟ فيرقص ويزغرد الجميع مرة أخرى حتى يظهر المخرج في الكادر وهو يقول: ستوب يا حج محمد.

هذه أهم مخطوطاتي المبدئية عن مشروع سيناريو الفيلم الذي سيكون سببا لفوز مصر لأول مرة في تاريخها بجائزة الأوسكار! لكن عليَ أولا أن أحسم الجدل في اختياري للمدرسة السينمائية.

المشكلة الأخرى هي شركة الإنتاج، هل أقدمه للعدل جروب؟ أم أقصر المسافة على نفسي وأخاطب شركة كولومبيا بيكتشرز مباشرة؟ ما رأيك يا بســـ؟ بسنت! بساااانت! غلبك النعاس يا بسنت!؟ أنتِ أروع من أن تكوني حقيقية يا بسنت. بغض النظر، أتعرفين؟ أيا ... ليس مهما! إنكِ

تشبهين الملائكة وأنت نائمة، ملاك نائم يحلم بأشياء شريرة طبعا! يكفي أنه ملاك يعاني من الالتهاب المزمن في جيوبه الأنفية!

معطف الفرو

فينوس فى معطف الفرو .. رواية مثيرة للجدل بجدارة، وما يثير الغرابة أكثر أن مؤلفها «ليبولد زاخر مازوخ» قد استقى أحداثها بشكل يتطابق مع واقع قد عاشه فعلا مع عشيقته البارونة الجاليشية «فانى باستور» وهي تدور باختصار ودون التطرق لأية تفاصيل قد ينتظرها بعض الأشقياء عن شاب يتلذذ بإذلال عشيقته له واهانته ومعاملته كعبد.

الخلل النفسي الخاص بالمؤلف وتاريخه الحافل بالمواقف المشابهة التقطه أحد الأطباء وأطلق عليه اسم «المازوخية» أو «الماسوشية» وهو مشتق من اسم المؤلف نفسه كمصطلح لتعريف هذه الحالة من الشذوذ السلوكي، لكنني فى لحظة ما فكرت ان ذلك الطبيب لم يسعفه الزمن للوقوف على تفسيره الكامل لاكتشافه العلمي لأن الفترة الأخيرة كانت كفيلة لتجعله يعيد حساباته بالكامل.

يمكنك أن تفهم ما أعنيه بالنظر إلى حال البعض ممن يطلقون على أنفسهم حقوقيون. إنهم بادعاء سخيف يحاولون اقناعك أن دفاعهم عن حقوق الانسان هي المحرك الأسمى لهم. لكن أي انسانية تحديدا؟ دفاعهم عن الحقوق الإنسانية لا يمكنك تصنيفه ولا يمكنك حتى من باب «الاستسهال» أن تربطه أو تقيسه بسلوك ثابت. وافتراض ثبات السلوك يأتي من أن الانسانية كمبدأ لا يمكن تجزئته، لكن قواعدهم التي يبنون عليها دفاعهم عن الحقوق لا تعترف بالثبات السلوكي لأنها بالطبع لا تستند إلى مبدأ

يمكنك القياس عليه كقاعدة! بل يحركه انحراف حاد فى تعريفهم للإنسانية ذاتها أو مدى اعترافهم بإنسانية الشخص قبل أن يفكروا فى الدفاع عن حقوقه. كما أن مفهوم حقوق الإنسان لديهم ينحصر في التوجهات السياسية لا أكثر! حيث لا مجال للتعاطف مع الفقراء أو أطفال الشوارع أو الغارمات. الأمر مقتصر على فئة السياسيين.

ماذا عن نظريات العدل والقضاء عندما يكون الأمر متعلقا بقضايا أحدهم؟ بادئ الأمر يكون صراخهم عن حقوقهم من منطلق انهم مدنيون لا يجوز محاكمتهم أمام قاضٍ استثنائي أو مسيس أو أو أو، ثم الترويج لفكرة عدم جواز محاكمتهم لأنهم ثوار وهذه المحاكمة هي محاكمة لفكرة الثورة نفسها! ويهرع أصدقائهم من معدي برامج الفضائيات باستضافة عائلاتهم وربما زوج خالة كل متهم ليدافع عن ثوريته وأنها مكيدة وارتداد للنظام القمعي، ثم يمطرونك بوابل من معلقاتهم وأساطير الزنازين العامرة بسجناء الرأي الذين سيخرجون يوما ما كـ «غاندي» يحملون مشاعل التنوير.

إلى هنا يمكنك اعتبارهم مجموعة من هواة لفت الانتباه بالدفاع عن أصدقائهم أو اعتبار أنفسهم كائنات تنويرية مقدسة لا يجوز للقانون أن يقترب منهم. لكن مع بداية الحملة الإرهابية المنظمة لاستعادة نفوذ الجماعة التي تعتبر بمثابة فصيلهم الوطني التاريخي بدأ جين الحقوق الإنسانية يباشر بناء بروتينه الخاص، إن مشاهد الدماء سوفاج! انهم ليسوا ارهابيين بالفطرة بل دفعتهم تصرفات الدولة الأمنية ليصبحوا ماهم عليه! بعضهم اتجه للمغالاة موصفا أن السكوت على عمليات «التصفية» التي تحدث لفصيل سياسي تحت مسمى خطر الإرهاب ماهي إلا بداية قمع أي تيار سياسي معارض سيقف فى طريق الدولة البوليسية التي تعيد بناء نفسها من جديد! دعك من بلاهة التصور، لكنه ببساطة قد ساوى بين

الصراع السياسي وبين أن يلوح فصيل ما إما أن نرضى به في الحكم أو يشعل ضدنا كمجتمع حربه المقدسة! بل واعتبر أن كل من يحمل السلاح فى وجه الدولة ومواطنيها هو انسان له الحق فى التعبير عن وجهة نظره السياسية وأن محاولة منعه ما هي إلا ممارسات قمعية!

وبرغم حالة الطفح الإنساني الملفتة والتي لا يمكنك نفيها بالقطع، لكن يمكنك أن تشم رائحتها المزيفة لما يميزها من عطن، هناك دائما استثناء! وهي الحالة الالمشهد.تي يغيب فيها هتاف «يا نجيب حقهم يا نموت زيهم» وهي عندما يتعلق الأمر باستشهاد مجندين! البعض يصمت تماما، وآخرون لا يستطيعون ايجاد مبرر للتعاطف مع قتلى «العسكر» لأنهم ضد الثورة! حتى لو اعتبرنا أن أي شيء يمت بصلة للقوات المسلحة يسبب لهم نوع استثنائي من الحكة فلا يمكنك أن تجد مبررا لحالة انتقاء الإنسانية بهذا الشكل القميء! ويتجه بعضهم لأقصى درجات الشذوذ السلوكي المتعمد بالشماتة في موتهم!

دعني ألخص لك المشهد.أغاني.الإنسان نفسها ماهي إلا نوع من أنواع التجارة الرائجة هذه الأيام وهم ليسوا إلا فصيل من أولئك التجار في سوق الهوس بضرورة صحوة الضمير الإنساني. هل يمكن أن تجد مبررا لدفاعهم المستميت عن رفاقهم وبين شماتتهم فى دماء جنود بسطاء؟ هل تجد تفسيرا لحساسيتهم المزمنة من مجرد ذكر اسم «مبارك» مثلا والصراخ بضرورة سجنه أو اعدامه متجاهلين حقه القانوني في التقاضي أو ما قدمه على مدار ثلاثة عقود مع احتفاظ المنطق بحق الاختلاف معه بشخصه أو مع طريقته في الإدارة أو مع قراراته وبين دفاعهم المستميت عن جماعات ارهابية بحجة التعددية السياسية أو حقوق الإنسان لمجرد أنهم كانوا رفاق ميدان؟

الإنسانية هنا ما هي إلا ابرة مغناطيسية فوق بوصلة من المصالح

والأهداف المعقدة وتقترن بمدى اقترابك من أهدافهم، فلو كنت قريبا بدرجة كافية يمكنك أن تكون انسانا فى نظرهم ليدافعوا عنك. أما لو كنت من معارضيهم فهذا سبب كاف لتصنيفك كعبد أو فلول أو أي هراء تم تسجيل براءة اختراعه لصالحهم، بل ربما لا تستحق عناء الشفقة.

أما تصنيفهم كمازوخيين سياسيين لا يقف عند مجرد سلوك شاذ، بل يتطابق هذا السلوك مع تعريف المازوخية نفسها وبشكل يكاد يتفوق على «زاخر مازوخ» نفسه. هم دائما بحاجه لاختراع جلاد يعطيهم الإيحاء اللازم الذى يمكنهم من الاستمتاع بخيالهم الذى يعيشون فيه متلذذين بالقهر. إنهم لا يدافعون عن شيء، هم فقط يبحثون عن لذة الصراخ.

أغاني .. شكل تاني

لطالما وجدت الحرب المقدسة بين جمهور المطربين لإثبات أيهم أحق بألقابه الخزعبلية وأحقيتهم في التربع على عرش هذا النوع الراقي من الفنون طريقا لتطفو على السطح من آن لآخر. لكنك في المقابل وكشخص لا تهتم بكم الهراء المتبادل تتوقف عند محطة مهمة جدا، هل تستحق تلك الأغان هذا الزخم المفرط حولها؟ دعنا نرى ذلك معا.

لنبدأ مع الهضبة وبغض النظر عن معنى اللقب الغير منطقي في حد ذاته! ففي فترة التسعينات التي شهدت انطلاقته كنجم لا يشق له غبار فقد أتحفنا بالكثير من الأعمال الرائعة، وعلى الجانب الآخر قدم لنا دروسا تاريخية في تقديمه للأغان التي تنافي أبسط قواعد المنطق! فعندما قال مفتتحا إحدى أغنياته الشهيرة «ما يتحكيش عليها» ستظن للوهلة الأولى أنها أقصر أغنية في تاريخ صناعة الموسيقى! جملة فلسفية بامتياز لو اكتفى بتقديمها بهذا الشكل المقتضب.

لكنه بعد أن استهل بـ «ما يتحكيش عليها» ظل لمدة تقارب الدقائق الخمس وهو يمارس هوايته في الثرثرة حول حبيبته التي قال لنا عنها أنها «مايتحكيش عليها»!

حتى عندما قدم لنا أسطورته الخالدة «ورجعت من السفر» لم تخلو من تلك اللمسة المضادة للمنطق، فهو لم يلحظ أنها لم تستقبله في المطار، لم

يلحظ أنها غير موجودة في المنزل تنتظر عودته، لم تترك له وجبة طعام في الثلاجة أيضا! لكنها تركت له «ورقة وكلمة وداع» لتجعله يندم على كل تلك السنين التي قضاها كمغترب. ولم يكتف بهذا القدر فقط! بل امتد احساسه المفرط بأهميته حين أضاف جملته العبقرية الخالدة: «كنت فاكرها ملاك لكن طلعت بشر»! وهو ما يقودك للتساؤل .. ما الذي يدفع ملاكا لأن تعشق بشرا فانيا يعمل في الخليج؟ كان عليه أن يرى تلك النهاية. لكن هل اكتفى بذلك؟ قطعا لا! فبعد عِقد أو أكثر من الزمن كرر نفس الخطأ التاريخي وأحب إحداهن ثم سافر من جديد ليغني لها: «أكيد راجع ولو بيني وبينه بلاد»!

دعنا نكتسب المزيد من الأعداء ولنتحدث عن تجارب قصائد نزار الغنائية. ماذا عن قارئة الفنجان؟ يقول العندليب على لسان نزار أن حبيبة قلبه ساكنة في ... إلخ. لقد وضع الشاعر جميع العقبات الأسطورية في طريق الحبيب الذي لن يستسلم طبعا وسيغامر بكل شيء حتى بطريقه المسدود المسدود المسدود ليصل إليها، لكن ماذا بعد؟ لقد دخل حجرتها وفك ضفائرها وكل شيء، الشاعر لم يقل ماذا كانت ردة فعل المسكينة التي اقتحم أحد المغامرين شرفتها! دعك من ردة الفعل ولنعتبر أنها كانت أميرة أسطورية هي الأخرى وستحب أول شخص يقتحم غرفتها بدون استئذان، كيف سيهربان من ذلك القصر ليتمكنا من العيش معا؟

القصيدة الوحيدة التي تحولت لشعر غنائي منطقي للعندليب من تراث نزار كانت «رسالة من تحت الماء» فحين تنفس العندليب تحت الماء كان من البديهي أن نفهم ذلك بسبب أنبوب الأوكسجين، وعندما غرق فكان بسبب فرحته المفرطة بالتنفس تحت الماء دون أن ينتبه لنفاذ الأوكسجين ودون أن يفكر في العودة إلى السطح!

حتى عندما قرر «كاظم الساهر» الغناء لنزار قباني لم يختلف عن سابقيه

وقرر أن يقدم لنا نموذج مستحدث من الأغان اللامنطقية. فعندما قدم لنا رائعته: من أجلك أعتقت نسائي وتركت التاريخ ورائي وشققت شهادة ميلادي وقطعت جميع شراييني! فكل ما يمكننا استنتاجه الآن أنه أصبح مُطَّلق، عاطل، «ساقط قيد» والأهم أنه معرض للنزيف حتى الموت بسبب قطع شراينه ومازال يغني باستمتاع!

لماذا أدخله الحب مدن الأحزان مثلا؟ لماذا لم يدخله هايبر كارفور؟ على الأقل يمكنه شراء بعض البضائع التي قد تفيده في رحلة البحث عن حبيبته!

لننتقل إلى شعبة الأغان الرومانسية تحت قيادة الرائعة «أنغام» وهي أروع صوت نسائي معاصر بالمناسبة. لكنها لم تنجو من فخ لامنطقية الكلمات! ماذا كانت تريد أن تبرهن عندما قالت: بتحبها ولا بتفكرك بيا؟ فلو اعتبرنا أن هناك شخصا تتسع مشاعره لحب شخصين، يبقى السؤال البديهي عن وجه المنفعة من حب شخصين متطابقين؟ دعك من هذه، ماذا كانت تنتظر وهي تتساءل: مجابش سيرتي؟ مقالش حاجة؟ علينا أن نفكر معا ماذا كانت ستستفيد لو عرفت أنه مازال يهتم؟ كانت سوف تقوم بتفعيل خاصية «البغددة» المبرمجة مسبقا في جينات الأنثى المصرية. وإن لم يكن يهتم؟ سيكون الرد جاهزا من أغنية «مهزومة» وستكيل له اللكمات المعنوية بلا هوادة حتى يستسلم خاصة وهي تقول: ما تفوق! أنا من غيرك أو بيك مش واقفة حياتي عليك!

في كل الأحوال سوف تتظاهر أنها لا تهتم، رغم أنها تتآكل ذاتيا من شدة الفضول.

أما الأغان الشعبية فهي حالة متفردة شكلا ومضمونا. حيث لا تكون الأغنية شعبية إلا إذا تكلمت بمفردات دارجة جدا عن الحبيب المخادع الذي يخونه مع تعداد سكان جمهورية الصين الشعبية بالكامل، أو الصديق النذل الذي يهوى استبدال محلول تنظيف عدسات صاحبه

المسكين بمسحوق الشطة! لا يوجد مطرب شعبي إلا وقد تم خداعه ملايين المرات بملايين الطرق الساذجة التي يمكن لأي طفل في الخامسة الابتدائية أن يتحاشاها! وهو في الحقيقة لا يدفعك لأن تتعاطف معه بالقدر الذي يجعلك تستغرب من كم السذاجة التي يملكها! طول مشوارهم الفني الذي امتد من أوائل السبعينيات حتى الآن لم يتعلم أحدهم الدرس مطلقا؟ غريب!

ما الذي يدفعك لسماع الأغان يا عزيزي؟ عندما تفتقد حبيبك مثلا، هل أنت في حاجة إلى «تامر حسني» ليعبر عن اشتياقك؟ أو عندما تخبرك حبيبتك – كالعادة – أن كل شيء نصيب، هل تحتاج إلى «هاني شاكر» ليقنعك بأهمية الانتحار؟ لا تضيق حدود الخيال على نفسك وتقصره على كلمات تتكرر من مطرب لآخر ومن أغنية لأخرى ومن ألبوم إلى آخر! احتفظ بشغفك تجاه الأغان كأحد أنواع الفن الذي نحبه جميعا، لكن في المقابل عليك أن توسع دائرة استمتاعك بعيدا عن تكرار الشعر الغنائي الذي لا يجد رواده غضاضة في إعادة تدوير منتجاتهم كلما لاحت لهم الفرصة!

نصيحتي المتواضعة أن أهرب إلى الموسيقى الخام يا عزيزي، ستجد في هذا العالم ضالتك بالتأكيد.

الحب الرقمي

مشكلتي هي أننى من أصحاب الذاكرات القوية جدا، فلا يستطيع أي حدث أن يغادر ذاكرتي إلا بعد عناء ومشقة إلا لو كان سؤالا فى امتحان ما طبعا!

أذكر أيضا أنه كانت لي زميلة ما في أيام الدراسة، وكنت أحاول أن أعرفها عن قرب أكثر، ولا داع لتلك الضحكات السمجة والنظرات المستفزة من نوعية «أيوه ياعم» و«الله يسهله» فأنا فعلا كنت أخطط لأن أصبح الـ«أيوه ياعم» الذى تقصدونه. وبرغم أنها كانت أحيانا محاولات مجهدة، لكنني نجحت أخيرا وأصبحت صديقها المقرب جدا، وبمعنى أدق أصبحت على بعد خطوة واحدة من أن أكون الـ «أيوه ياعم» الذى تمنيته يوما.

وعلى مدار عامين كنت أزداد تعلقا بها وهى تزداد قربا منى بشكل كبير. فلم يكن ينقصني سوى أن أقول تلك الكلمة لأزيح جاثوم الانتظار من على صدري، لكن لسبب ما كنت أتراجع فى اللحظة الأخيرة. ربما كنت قلقا من النتيجة الحتمية لكل من يربطهم شيء ما وهم على غير استعداد له، فإما أن يزيد عليك الضغط السلبي بسبب محنة الشباب العامة وتصبح نذلا في خيالها، أو توفر هي عليك العناء وتعلن لك في مكالمة هاتفية مدتها تسعة وخمسون ثانية لأنها ستغلق الخط قبل أن تكسر الدقيقة

طبعا - لم نكن نملك وقتها رفاهية «واتساب» وكانت تعريفة الدقيقة تكلفك ثروة فعلا - وتخبرك أنها ستتم خطبتها بعد أسبوع من الآن، وأنها تود لو احتفظت بك كصديق وفى . وأنت قطعا ستقبل العرض السخي كأي أبله يحترم نفسه! دون أن تعرف أنها المرة الأخيرة التي سوف تسمع فيها صوتها للأبد. لتشعر بعدها بتلك الصفعة المفاجئة فوق قفاك، أو تشعر بذلك الرمح الملتهب الذي يخترق ثقبا بعينه في جسدك دون سواه.

لكنى توصلت للمعادلة الصعبة في يوم ما وهي أن أقول لها ما أريد وعليها أن تفهم ذلك دون أن أقوله كنوع من الجهد والتحذلق المتبادل، فإن فهمت ربما تقبل، ونؤجل المكالمة الهاتفية الحتمية عدة شهور من الآن. ربما بعد أن يقول والدها لأحد القادمين من الخليج ليخطبها «احنا بنشترى راجل»! أو ترفض وينتهى الأمر تماما، أو تحدث معجزة ما ونستمر.

كان على أن أغامر في لحظة بكل مخاوفي وقد قررت هذا فعلا، أحضرت هاتفي وقمت بكتابة رسالة نصية رقمية مختصرة سينقشها فيثاغورس في قبره مفادها: «٢-٦-٢-٢٢» ثم ارسال.

مر يومان ولم أرها، فكرت أنها فهمت لكنها ترفض العرض الرقمي، وبدأت استعد للحظة الصدمة العاطفية وأحضر بعض أبيات الشعر الرديء التي سينتحر بسببها العاشقين. وفى اليوم الثالث جاءتني مشرقة مبتسمة ابتسامة ينفرج فيها فمها حتى أذنيها حتى تعجبت من مدى عبقريتها، هل فهمت رسالتي رغم أنها تمقت الأرقام؟ أخذت أهنئ نفسي فربما أصبحت أخيرا الــ «أيوه ياعم» الذي تمنيته يوما! جلست بجواري وأخرجت هاتفها من حقيبتها ثم قالت: ايه البتاع اللي انت باعته ده؟ قلت لها باستنكار واضح: ألم تفهمي حقا يا أم جهل؟ هذه إحداثيات تعامد الشمس على المسطبة الخامسة في هرم سقارة في اليوم الخامس والثلاثين من شهر أكتوبر من كل عام. كنت أظنك قد تحتاجين لمثل هذه المعلومات الطريفة عن الفراعنة.

أصدرت ذلك الصوت المستفز وكأنها فهمت النظرية النسبية توا: هممم! وكأنه من المنطقى وجود يوم ٣٥ فى شهر أكتوبر أيضا! ثم قالت: الفراعنة دول أذكيا أوى حسبوها إزاى! أنا كنت فاكرها شفرة عجيبة من بتوعك. قلت فى باطني: إنها شفرة طبعا لكن حلها «بعيد عن شنبك» احـــــــم .. إن كان لديك واحدا.

توقفت يومها عن التفكير في أحلامي المشتعلة حول الـ «أيوه ياعم» الذى أتمناه، وبقينا كأصدقاء حتى انتهت بنا عجلة القدر إلى ان لا أحد يعرف الآن ما إذا كان الآخر على قيد الحياة أم لا. أنهت ألعاب الزمن كل شيء فعلا.

لكن ما يحيلني إلى كتلة من التوجس إذا ما اكتشفت يوما انه لا يوجد يوم ٣٥ فى شهر أكتوبر! أو ماذا تعنى ٢-٦-٢-٢٢ حقا! لماذا تلك النظرة المتسائلة عن معنى ٢-٦-٢-٢٢؟ الم تفطنوا بعد؟ إنها شفرة التتبع الخاصة بجينات مرض الزهايمر، كنت أظن هذا واضحا!

أشياء تجمعنا

بعد يناير أزالت الخلافات السياسية جزءا لا بأس به من قشرة التحضر التي كنا نصطنعها فعلا. الخلاف هو سيد الموقف فى كل شيء وفى أي وقت، ودون التطرق لمضاعفات إصرارنا على أننا عباقرة وكل منا يحاول إثبات أنه أعاد اختراع العجلة أمام الآخرين ومحاولة اقناعهم بدهاء مواقفنا السياسية كمخضرمين عارفين ببواطن الأشياء. لذا قررت أن أفكر بإيجابية، سأحاول أن أجد ما يجمعنا كمصريين! ربما يكون اكتشاف تلك الأشياء المشتركة بداية جديدة لنترك خلافات السياسة جانبا ونعود لحياتنا الطبيعية. تلك الحياة التي كانت منغصاتها الوحيدة حين يخسر الزمالك أمام الأهلي بالتخصص أو حين «يخرم» شيكابالا حسام عاشور! دعونا نفتش في أروقة خيالنا الجمعي عن كل ما يجمعنا إذا.

حديثا أضحت الأماكن التي يتم اكتشاف متفجرات بقربها هي بيئة جيدة لتحسين مهارات المصري الاجتماعية، يعرف خلالها أناس جدد. وجميعهم يغمرهم ذلك الشعور بالفخر أنهم قد تحدوا الخطر فعلا. وجود القنبلة أصبح مصدرا للمرح والشعور بأننا لا نُقهر، هؤلاء الأوغاد لن يستطيعوا اخافتنا! سنسحقهم حتما، لكن بعد أن نشاهد انفجار هذه القنبلة أولا!

المصريون لهم باع طويل وتاريخ حافل مع فن الإشاعة مثلا، وبمجرد إصدارها يتناقلونها بشغف ربما يقارع شغف نيوتن يوم سقطت عليه التفاحة! الأدهى من ذلك أن حسابات المواقع الإخبارية والصحف على مواقع التواصل الاجتماعي تتناقلها بذات اليقين وباعتبارها سبق! لقد أصبحوا أكثر اصفرارا من الصحافة الصفراء ذاتها.

تخيل أننا روجنا إشاعة مثل العلك – اللبان – الإسرائيلي الذى يجعل الفتاة حامل بمجرد مضغه! روجنا إشاعة تفسر سر تطبيق غرامة حزام الأمان في السيارات لأن «علاء مبارك» كان قد استورد كميات كبيرة منه، لكنه لم يجد من يشتريه! لا تستغرب لقد اخترعنا هذا الهراء فعلا. وهو ما يفسر لك سر انتشار أسطورة السبعين مليار وسبائك البلاتين إبان أحداث يناير كما تنتشر النار في الهشيم. إنه الاستعداد المسبق لترويج أي شيء طالما كان ذلك الشيء يظهرنا كنورانيين نتعرض للظلم والتهميش.

المصريون تجمعهم العادات والتقاليد أكثر من أي شيء. في حفلات الزفاف مثلا ستجد تلك الكهارب المعلقة على المنازل، والغريب رغم حبنا المرضي لتلك الكهارب واعتبارها مصدرا للبهجة لا أحد يدفع ثمنها أبدا! دائما هناك كهربائي مخضرم عارف ببواطن الأشياء يستطيع توصيلها بالسلك العمومي دون أن يشعر به مجلس المدينة.

يجمعنا أيضا الترحيب المبالغ فيه، نحن نرحب ببعضنا ونودع بعضنا لوقت أطول مما جلسناه معا. نعتبر واجب الضيافة مرادفة للتلبك المعوي، وإياك! إياك ان تكسف «إيد طنط» لأنه عيب ومن الكبائر. ولن يختلف الأمر أن كنت في زفاف أو في مأتم أو في افتتاح مسمط. لأنك ستشرب العصير، وستشرب القهوة، وستجد رجل الفيديو إياه يؤرخ وجودك ومشاطرتك لصاحب السرادق سعادته أو حزنه.

المصريون يجمعهم العمق! المواطن المصري عميق بطبعه، ولا يوجد أي

مجال أو خبرة إلا وقد عرف أدق تفاصيلها. هو خبير في نظام الانتخابات الامريكية ويمكنه التنبؤ بفوز الجمهوريين. ولو فاز الديموقراطيين ستجده يقول لك بنفس ثقته في فوز الجمهوريين إنها أمريكا! أحمد زي الحاج أحمد.

السحر أيضا له مكانته الخاصة في وجدان المصريين. ويصل التطير عند بعضنا إلى حد أن تتوقف حياته كليا على كلمة من دجال! التمتمة والنيران المتراقصة وسط البخور والأحجبة المليئة بالنقوش الغريبة والعرائس المخروزة بأعواد الأسنان الخشبية كفيلة لزعزعة ثبات حملة أعلى الشهادات العلمية!

التشويه يجمعنا. فبعضنا مريض بالرهاب تجاه أي مسطح فارغ، وما إن يرى أي شيء نظيف حتى يشرع في تشويهه لدرجة أننا اخترعنا أدب خاص بمؤخرات السيارات والجدران وأبواب المراحيض. ما فائدة أن تدرك أنك تسير الآن في حارة الأشباح مثلا؟ من هو سفاح القلوب إياه الذي يترك بصمته على كل جدار؟ كيف ستعرف «جاسمين» أن هناك شخصا يهيم بها حبا واعترف بذلك خلف باب مرحاض لن تدخله أبدا؟ الغريب أن تجد اسما كـ «جاسمين» خلف باب مرحاض! لتتساءل في خيالك وأنت تمارس تلبية نداء الطبيعة عن تلك الـ»جاسمين» وطبيعة علاقاتها الاجتماعية التي تسمح لشخص أن يعترف بحبه لها خلف باب مرحاض عام!

أسطورة اللامبالاة بدأت هنا! كل مشكلة ملحة وكل حدث مهم وكل عمل لا يمكن تأجيله يمكننا التفكير فيه غدا. هكذا ببساطة! غدا دائما يحمل الحل السحري لكل شيء، وللمفارقة أنه لا يأتي أبدا.

نحن أيضا نعشق الحديث بالشفرة، ويمكنك أن تحصي عدد لا نهائي من المرات التي قابلت فيها أحدهم وظللتم ترحبون ببعضكم البعض دون أن يفهم أحدكم كلمة واحدة نطق بها الآخر!

تجمعنا اللامنطقية بجدارة، نحن نعتبر «البيض» سُبه مثلا. ترتبط في أذهاننا معان كالرجولة والأنوثة بالحيوانات. يمكننا اختصار كل مجهود مصنع هوندا في دراجاته النارية تحت اسم «مكنة» واختزال إبداع مايكروسوفت في هواتفها تحت مسمى «عدة»! لا يوجد حتى الآن دليل واحد يبرهن على وجود علاقة وطيدة بين «الكوارع» وإعادة تأهيل «الرُكب» لكننا وجدنا ذلك الرابط الخفي كما وجدناه في العلاقة الخفية بين «الحمام المحشو» وقدراته الخرافية على تحويلك إلى عنتيل أو ذكر غوريلا عملاق يضرب على صدره بفخر بعد نجاحه في إتمام زواجه بخمسة إناث دفعة واحدة!

أما الازدواجية فهي أسطورتنا الخاصة! وبغض النظر عن أي تشبيه قد يقفز إلى مخيلتك الآن فنحن الشعب الوحيد الذي يرقص على أغانٍ للخيانة والحبيب المخادع والأقارب الأوغاد في حفلات الزفاف!

وأخيرا تجمعنا «النوستالجيا» أكثر من أي شيء آخر. كل شيء من الماضي يصبح جميلا في واقعنا القبيح. وتأكيدا للمعنى قامت إحدى شركات المشروبات الغازية بتقديم إعلان يرسخ لذلك الحنين ويحاول إمتاعنا باسترجاع ذكرياتنا القديمة. لكن المدهش في الأمر أن الشركة تصر على استرجاعنا لذكرياتنا ولم تفكر هي في استرجاع مشروبها لطعمه الذي كان أفضل في الماضي!

السؤال الملح الآن، ما هو الأفضل لنا؟ الأشياء التي تجمعنا معا أم خلافتنا السياسية؟ بالنسبة لي فالخلافات السياسية أفضل، أنا لن أتبادل خبراتي الاجتماعية بجانب المتفجرات، ولن أشرب عصير المانجو من «إيد طنط» لأنه مليء بالقشور التي فشل خلاطها الصيني في فرمها، وتكتمل «لمتى» مع من أحب دون الحاجة لمشروب غازي رديء! ولن أعترف بحبي لإحداهن خلف باب مرحاض عام مهما كان حجم الفراغ العاطفي ومغرياته! علينا

أن ننضج بما فيه الكفاية لنتقبل خلافاتنا السياسة كشعوب متحضرة!

الإنسانية في خطر!

كل عام وأنتم بخير، يقترب العيد الأضحى حثيثا الآن أيا كان الوقت الذي تقرأ فيه! إنها ألعاب الزمن يا عزيزي. وفى هذا الوقت لن تجد من لديه أي وقت فراغ، الجميع منهمكون ومنشغلون الآن إما بالتنظيف أو بإعداد الأضاحي للذبح أو بالتجهيز للسهرة الماجنة التي تميزنا كمصريين بعد كل ليلة تعبد أو «ليلة مفترجة» كما نحب أن نسميها، إنها ليلة الوقفة!

وبالحديث عن ليلة الوقفة يمكنك إرجاع التسمية لأنها الليلة التي تسبق يوم الوقوف على عرفات، هذا ما يضع لك تصورا منطقيا للاسم. أما السؤال الكوني الذى لا إجابة له: لماذا نسمى ليلة عيد الفطر بليلة الوقفة أيضا؟ لا يهم. هذا ليس موضوعنا من الأساس، دعونا نتحدث عن أشياء أخطر بكثير من هذا الترف الفكري.

عند اقتراب عيد الأضحى تحديدا تتعالى الأصوات المعارضة لشعائر الذبح! ناهيك أن السبب ليس متعلقا بالضرر البيئي مثلا لسلوك البعض المنافي للدين أو لأبسط قواعد الرحمة أو للنظافة أو الإنسانية، وبعيدا عن أي معتقد ديني، وبعيدا عن حاجتك للبروتين، يبقى سؤالهم الملح، لماذا نذبح؟ هنا بدأت أتخيل الحياة مثلهم، نباتي تصيبه أشكال اللحوم بالقشعريرة. والمفاجأة أننى بدأت اقتنع! لنبدأ سويا ونتخيل حياتنا بلا لحوم مثلا؟ تذهب لتطلب البيتزا وتستبدل شرائح «البرونى» الشهية بقطع من «الكُرَّات» البلدي اللذيذ! أصل البيتزا نباتي وكل إضافة بروتينية هي

اختراع قميء أساء لسمعة المطبخ الإيطالي بالأساس. تمتع بالبيتزا على أصولها بلا اختراعات واترك البقر ينعم بحياته في سلام دون الحاجة لنحره واستخدام عضلاته لصنع البرونى! ثم تخيل الوقع التسويقي لبيتزا الكُرَات بالأطراف المقرمشة!

دعك من البيتزا. تخيل وجبة الهمبرجر الخاصة بك وهي تحتوي على قرص من «كفتة البطاطس» الشهية بدلا من شريحة اللحم البقري الصافي! إن لها العديد من الفوائد منها أنك ستحصل على بروتين أقل يقلل نسبة إصابتك بمرض «النقرس» كذلك ستقلل من كلفة الوجبة «الكومبو» لأنها ستكون بلا بطاطس إضافية! وصحتك ستصبح أفضل لأنك تجنبت اللحوم وقللت من نسبة الكوليسترول وأحماض اليوريا والكرياتين التي تؤثر على كليتيك، ووفرت مالا والحيوانات تنعم بحياتها!

إن شهوتنا المفرطة تجاه اللحوم تجعلنا نُخل بالاتزان البيئي فعلا! فلم نكتف بالثدييات فقط، بل اتجهنا للطيور في سابقة مفجعة لكل صاحب ضمير إنساني حي! نحن لا نعتق طائرا من نهم الالتهام والتلذذ بمصمصة عظامه باستثناء الجوارح وطائر اللقلق لأنه غير متوفر في بيئتنا لحسن حظه. وتتجلى بشاعة هذا النهم الجارف عندما يتفاخر أحدهم أنه يأكل الحمام مثلا! تخيل هذا الطائر الوديع المسالم على مأدبة طعام؟ يا للقشعريرة! وتخيل أنهم يقدمونه لك مشويا أو محشوا بالأرز أو الفريك؟ تخيل هذا الطائر رمز السلام يحمل في فمه غصن الزيتون وقد عُقفت أرجله بوضع عكسي إلى داخل جسده مرة أخرى ويطير تتساقط من أحشائه حبات الأرز بالخلطة! إنها جريمة كاملة!

لذا فقد قررت أن أتخذ القرار بأن أصبح نباتيا! سأبدأ بنفسي لأحافظ على الاتزان البيئي. لكنني فكرت أيضا! أليست النباتات كائنات حية هي الأخرى؟ ما ذنب حبة الطماطم وهى تحت رحمة سكين حاد يتفنن في

تقطيعها إلى جزيئات صغيرة لتناسب صناعة «التبولة»؟ ما ذنب أوراق الملوخية وهى تتلوى ألما تحت نصل المخرطة؟

تخيل معي سادية الفلاح وهو يقطع أعواد السبانخ الحبيبة من الأرض بشرشرته أو يقتلع القلقاس من الأرض بلا رحمة وكأنه داعشي يهوى قطع الرؤوس؟ ألم يلفت نظره أنه بذلك التصرف الهمجي الدموي اللاإنساني الشهواني الأناني ينهى حياة هذا النبات المسكين؟ لم يخطر بباله مدى الألم النفسي للزيتونة وهو يعتصر خلاياها من أجل قطرات معدودات من الزيت ليتركها جثة شاحبة كضحايا مصاصي الدماء في قصص الرعب التي فشلت في كتابة إحداها في بداية هذا العمل؟

منذ متى والإنسان يحمل في داخله كل هذه القسوة وكل هذا التعطش للدم والبطش؟ لابد من أن يصدر البرلمان تشريعا بشكل سريع يجرم كل أنواع القتل من أجل الأكل! لا ثدييات ولا طيور تُنحر من أجل اللحم، ولا نباتات تُقتلع من أجل طبق سلطة قميء ونحرم جزيئات الكلوروفيل من عملية البناء الضوئي وإنتاج الأوكسجين اللازم لاستكمال الحياة. نحن كدولة وبعد ثورتين إحداهما مجيدة أو داليا لا أذكر اسمها تحديدا يجب أن يكون لدينا قانون صارم يحد من هذا السلوك الدموي. ولنجعل تجربتنا فريدة وعالمية وننادى بأن يتوجه علماء العالم لاختراع طريقة ما تجعل البروتينات والفيتامينات والأملاح يتم استنشاقها وامتصاصها عبر الرئتين. عندها يمكننا أن نعيش في رخاء إنساني مثالي! لا أكل ولا قمامة ولا حتى فضلات. وهو ما سينعكس على شتى مجالات الحياة! أنت لا تأكل، فحين ستتزوج لن تضطر لشراء الثلاجة مثلا! لن نستهلك المياه في الشطافة، لن تطلق زوجتك لسؤالها المعتاد: هناكل إيه بكره؟ إنه خيال حالم بتجربة حياة إنسانية متكاملة لا نضطر فيها لإلحاق الأذى بأي كائن حي آخر. ولابد من أن نغير من أنفسنا لنعيش مستمتعين بإنسانيتنا! فهي كل ما

تبقى لدينا وسط هذا العالم الموحش المتعطش للدماء.

العلم والبتنجان

في الموروث الشعبي المصري ارتبط العلم ارتباطا وثيقا بالبتنجان. فكلما أراد أحدهم أن يبرهن على عبقرية مقصده قال لك متفاخرا: وهل يكيل العلم بالبتنجان؟ لكن الحقيقة أن المواطن العبقري الأول الذي صاغ هذا المصطلح للمرة الأولى في تاريخنا كان يعرف قدرتنا على كيل العلم بالبتنجان فعلا!

انظر إلى حال المتعلمين – ولنضف أنفسنا بالمناسبة فلسنا أفضل حالا منهم – لتجد أن لا فارق حقيقي بين العلم والبتنجان على الإطلاق! لقد أصبح التعليم لا يميز ذلك الخلط المرعب بين أن تتعلم وأن تحشو دماغك بمعلومات تفيدك فقط في حال اشتركت في برامج المسابقات!

ليس هكذا فحسب! بل إمعانا في الفشل أصروا أن ينقلوك إلى مستوى الزهو بنفسك، أنت ذكي! قم بحفظ كل هذه المعلومات ثم أفرغها في ورقة إجابتك بشكل صحيح. ولو نجحت في أن تكون «الناسخ» المثالي يكافئك «مكتب التنسيق» بكلية من كليات القمة! أن تكون طبيبا أو محاميا لا علاقة له بميول أو قدرات، فقط بمقدار ما حصلت عليه من درجات في عمليات الشحن والتفريغ التي نسميها مجازا «الثانوية العامة»، وعليك أن تثق بمكتب التنسيق فهو يعرف عن قدراتك ما تجهله.

وكالعادة في إثارة أي أزمة ستنجرف إلى صراع سياسي مُطعم بقدرتنا على

اختراع البؤس! حيث سيقوم أنصار كل فريق سياسي ما بإلقاء اللوم على الآخرين وتصوير أن زمرتهم كانت الأقرب لتصحيح مسار التعليم! إنها لعبة «الملتهبين» التي لا تنتهي، وهذا ما يعكس لك حجم المأساة، نحن لم نتعلم، فلم نستطع الإدراك أننا في ورطة حقيقية.

علاقة التعليم بين المعلم والدولة والتلميذ علاقة مثالية لتعرف حجم المأساة عن قرب. الطالب يوهم أهله بالاجتهاد مفرغا جيوب والديه في دروس خصوصية عند نفس المعلم الذي لا يشرح له شيئا في المدرسة لأنه منهك من سهرة الأمس الحافلة بالدروس الخاصة. كلهم يعرفون ذلك ويتقبلونه بترحاب، المفاجأة أن المحصلة النهائية والتي تساوى الصفر بامتياز دائما لا يتحملها أحد!

ولي الأمر الذي لم يدرك أن جيوبه قد تم إفراغها في استثمارات شركة «سوني» لتطوير ألعاب الفيديو يلقى باللوم على المعلم الفاشل الذي استقطب أمواله بشراهة دون أية نتيجة تذكر!

المعلم لا يقبل أن يشكك أحدهم في ضميره المهني، تبا لهم جميعا! هو ليس بمسئول عن فشل أحد. رغم أنه لم يلحظ غياب الطلبة المتكرر ولا حضورهم لدروسه بأطقم برشلونة الملطخة بالغبار والعرق. كان أهم شيء ألا ينسى أحدهم احضار «فلوس الدرس» وإلا تحولت حياته إلى جحيم.

الطالب لا يقل استهتارا عن باقي المنظومة. لقد وقع فريسة لمعلم كذاب أشر لا يجيد توقع الأسئلة التي يضعونها في الامتحانات، وواضع امتحانات متعنت يصر أن يتفلسف ويستعرض عضلاته عليه، ووزارة تعليم تحرمه من حلمه أن يصبح مهندسا أو طبيبا أو ضابطا رغم وزنه الذي يفوق حجم فرس نهر مكتمل النمو، وحين يفشل في اجتياز الاختبارات يتحول إلى ذلك «الهتيف» الميداني ويملأ الدنيا صراخا عن الظلم والمحسوبية.

وتخيل المأساة حين يصرخون خارج لجان امتحان «اللغة» الإنجليزية لأنهم

وضعوه من خارج المنهج! هل تتصور أن لـ اللغة منهج ليكون الامتحان من خارجه ؟!

أما الدولة فهي خارج نطاق التغطية غالبا، لديها عجز موازنة يبتلع كل محاولة للنهوض، أزمات المواد البترولية تسخر ما تبقى من سيولة لتوفير احتياجات المواطن من مشتقات البترول التي يستهلكها بمعدل يكاد يتفوق على معدلات استهلاكه لعصير القصب، ناهيك عن الدعم الذي لم يجرؤ أحدهم على مجرد الاقتراب منه حتى الآن! ويمكنك لو كنت مهتما أن تراجع مبالغ الدعم منذ عام ١٩٧٨ م وحتى عام ٢٠١٠ م لتفهم ما أقصده، إنه ثقب أسود يمتص كل جهد مبذول لدفع الاقتصاد. وما يزيد الطين بلة رغم كل هذا البلاء أنها مازالت مصرة على الاحتفاظ بمجانية التعليم لتحافظ على وجهها الاشتراكي أمام مجتمع أدمن عبارة «تلتزم الدولة» في شتى مجالات حياته!

هل تخيلت للحظة وفي وجود هذا الخليط العجيب من الاستهتار واللامبالاة والإنكار نموذج الطالب في نظام تعليمي كهذا؟ انظر حولك ستجد الإجابة واضحة لك كما لم تكن من قبل بين طبيب لا يجد ضميره حرجا من الإضراب في ساعات عمله الرسمية لزيادة الكادر ثم يتوجه بعد ذلك لعيادته، أو موظف حكومي شريف لا يقبل الرشوة لكن بإمكانك مكافأته بـ»الشاي»! هو يقبل الشاي، لكن الرشوة حرام! أو حتى طالب جامعي قضى فصله الدراسي يمارس هواية الاستظراف وفي لجنة الامتحانات تجده يخترع أساليب لم يتفتق إليها ذهن آينشتاين شخصيا ليتمكن من الغش!

وبرغم كل هذه المآسي تجدهم جميعا متحدون في ضرورة القضاء على الفساد، بل لم يتوقفوا لحظة لإعادة التفكير واكتشاف أنهم جزء أصيل من هذا الفساد الذي يريدون محاربته!

تحسين التعليم هو عملية استثمار طويلة الأجل في عقول البشر ولن ننعم بثماره إلا بعد أجيال حتى لو بدأنا الآن! لكن علينا أن نظل على أمل في جيل سيخرج وقد تعلم بطريقة لا تكيل له العلم بنفس مكيال البتنجان! دعونا نأمل أن هناك من سيتعلم كيف يمكنه الإدراك، جيل تعلم ماهية التفكير النقدي، جيل بلا ناسخين أو حفظة التزموا بنصوص كتاب الوزارة. وعلينا أن ندرك أيضا أن التعليم ليس مجرد شهادة منمقة تُعلق على جدران منزل صاحبها، فلو كان هذا هو المقياس فالنتيجة هي خط انتاج متكامل للحمير من حملة الأسفار.

ملل لا ينتهي

ألو ... علاء؟ أنا مخنوق أوى يا علاء، لماذا؟ خلتك تعرف! لقد قمت بتنزيل لعبة (فيفا ٢٠١٥) الجديدة بالأمس ولكن تخيل ماذا حدث؟ كارثة والله! لقد ظهرت رسالة تفيد عدم قدرة كارت الشاشة على تشغيلها، وهذا يعنى أننى لو أردت أن ألعب على أن أشترى كارت شاشة جديد وهذا يعنى مبلغ كبير من المال!

حتى التسلية أصبحت قاصرة على الأغنياء الذين يقدرون على تغيير كارت الشاشة مع كل إصدار جديد للعبة. أنت تعرف أننى أحب لعبة فيفا ولكن ماذا أفعل ياعلاء؟ هل أسرق لأتمكن من اللعب يا علاء؟ وأنت تعرف أن عملي يكاد يساعدني فى تلك المصروفات التي لا تنتهي، ماذا أفعل يا علاء؟

ألو ... علاء؟ أنا مخنوق أوى يا علاء، لماذا؟ خلتك تعرف! هل تعرف تلك الفتاة التي تشبه عضو مكتب الإرشاد؟ لقد رأيتها اليوم وهي تحمل كيس به دبدوب، تخيل! وخمن مع من كانت تسير؟ مع هذا الشاب الذي يتدلى بنطاله حتى ركبتيه ويلبس قبعات مطربي الراب، تخيل يا علاء أنها مرتبطة عاطفيا وأنا أعاني عاطفيا يا علاء! لقد انفصلت الأسبوع الماضي عن ميادة، أنت تعرف ميادة جيدا لكنها تحولت. لا يا علاء! لا أقصد أنها

أصبحت زومبى، لكنها لم تعد تحبني كالسابق. تخيل أنها طلبت منى أن أقابل والدها؟ حسبتها تمزح لكنها أصرت مع أنها تعرف ظروفي جيدا وأنا عاطل يا علاء كيف لي أن أتقدم لها وأنا خاوى اليدين يا علاء؟ لكنها على ما يبدو تريد أن تتزوج من هذا الشاب الذي تقدم لها من فترة، وتريد ان تظهرني أننى المخطئ! لقد أصبحت ماضيا بالنسبة لي يا علاء، انت تعرفني جيدا حين يتحجر قلبي المرهف الحنون، صحيح؟

ألو ... علاء؟ أنا مخنوق أوى يا علاء، لماذا؟ خلتك تعرف! هل وصلك الخبر؟ أنا دخلت الجيش يا علاء! معظم دفعتي تم اعفاؤهم وأنا أدخل الجيش! لماذا أنا؟! رغم أننى كنت فى أشد الحاجة لهذا الإعفاء كما تعلم، وهم من لا يحتاجون إليه يحصلون عليه! تبا لهذا الحظ الذي يعطى من لا يستحق.

ألو ... علاء؟ أنا مخنوق أوى يا علاء، لماذا؟ خلتك تعرف! لقد انفصلت مرة أخرى يا علاء، ماذا؟ متى ارتبط مرة أخرى؟ ألم أقل لك أننى نسيت ميادة تماما؟ لقد أصبحت فى علاقة مع سميرة منذ الأسبوع الماضي، سميرة من؟ سميرة ياعلاء سميرة! أنت تعرفها جيدا لكنني لن أحكى لك شيئا لأنني رجل شرقي الطباع كما تعلم، أنت صديقي لكن هناك دائما حدود، احترم نفسك إذا! لكن تخيل! عندما صارحتها بأنني أحبها غضبت منى بشدة وقالت إنها لا تحب هذا الهراء، أنا مشاعري هراء ياعلاء؟ ألم تشاهدني أبكى ونحن نستمع لألبوم «تامر عاشور»؟ ألم يصيبني الصداع النصفي حين سمعت اغنية «أنا مش عارفني» فى الميكروباص؟ وهي بكل وقاحة تقول عن مشاعري هراء! ماذا أفعل يا علاء؟

ألو ... علاء؟ أنا مخنوق أوى يا علاء، لماذا؟ خلتك تعرف! لقد قررت الانتحار فعلا يا علاء، العالم كله ضدي يا علاء. ألو! علاء؟ .. علاء؟ .. لولو؟! أين ذهبت؟ نعم نعم .. أعرف طريقتك حين يزداد خوفك على صديقك

الحميم تغلق فى وجهي سماعة الهاتف لأنك لا تستطيع أن تسمع المزيد من معاناتي وسط هذا العالم الموحش البائس، لهذا أحبك يا علاء لأنك تفهمني جيدا. أنا أعرف أنك قلق من فكرة انتحاري وأننى آخذها بجدية لهذا لم تتحمل وأغلقت الهاتف فى وجهى، لكنها الحقيقة يا علاء، سأنتحر. أنا مخنوق .. مخنوووووق! ولقد قررت أن أقفز من فوق الهرم يوم الخميس القادم، سأبعث لك برسالة يومها صباحا وحاول أن تتصل بالشرطة لتمنعني أرجوك! انا مخنوق دائما كما تعلم ولن أطيق فكرة الانتحار من هذا الارتفاع.

عن الشبكات الاجتماعية

١- فايسبوك

فايسبوك .. لابد أنك تملك حسابا على فايسبوك وان لم تكن تملك واحدا فهناك عالم خفي مثير للسخرية ينقصك اكتشافه بالفعل. لكن هل فكرت ذات مرة في أن تنظر لمستخدميه نظرة أخرى؟ كيف يستخدموه؟ مقدار ما يمكنك أن تستفيده من متابعتك لهم؟ ماهي كمية الأمراض التي يمكنك أن تحظى بها لإصرارك على متابعتهم أيضا؟ خاصة وأن فايسبوك أصبح مرتعا لمرحلة عمرية معينة مهما حاولت الهروب منها لابد وأن تصادفك رغما عن كل مراحل تصفية الأمان وفرز المحتويات المتاحة.

مثلا مقدار الأصدقاء لدى الفايسبوكيين الجدد يتزايد حسب الاسم والنوع، الفتى الذي يكون اسمه مثلا دودي الرومانسي ستجد لديه أصدقاء عديدة مثل ماندو الجامد وسعيد الحبوب، وطبعا ميرو الدلوعة وقلب انثى أو تلك الأسماء ذات الحروف الإنجليزية المزخرفة التي يصعب تذكرها أو قراءتها حتى.

الشباب لديهم جميعا صور مشتركة بالنظارات الشمسية العملاقة وكل منهم يشير للآخرين بلا سبب وجيه! أو صورته داخل حمام سباحة وهو يعانق سيراميك حافة المسبح! أما الفتيات فتجد أن غالبيتهن يصورن أرجلهن فقط وطبعا سيتم التعرف عليهن إن كنت تنتمي مثلى لناد المتحذلقين والمخضرمين العارفين ببواطن الأشياء إما بنوع الحذاء أو لون (المونوكيور) أو بنسبة (القشف) فوق كل قدم. هذه قدم سارة لأنها معتادة على إطالة أظافرها حتى وصلت لمرحلة الحوافر المغطاة بطلاء وردي. أما هذه فهي قدم خلود! من الذى لا يعرف قدم خلود؟ انها عملاقة

جدا وينقصها حدوة لتكتمل أناقة المشهد. أما قدم هالة فهي مميزة جدا! هالة كما نعلم لم تسمع بعد عن مستحضرات إزالة الشعر ولولا أنها ترتدى صندل فضي لأجزمنا أنها قدم صديقنا «عاطف» واستغربنا من سر تواجده في صورة كتلك!

أما صورة «بروفايل» فهي تدل غالبا على شخصيتك إن كنت لست من هواة وضع صورتك الحقيقية. فصورة التشي جيفارا تعنى أننى أحب ان ينظر لي الأخرون كذلك، فأنا طموح، ثائر، وأدخن السيجار الكوبي. ومازلت مقتنعا أنه كوبي مات فى بوليفيا بغض النظر عن كونه ارجنتينيا فى الأصل واسمه «جيفارا» وليس «تشي جيفارا» فمعظمهم لا يدرك أن لفظة «التشي» هي مجرد لقب وليس اسما على غرار تشي عبد السلام جيفارا السلحدار! والمثير للسخرية فعلا أنك تجد أغلب من أصابهم الهوس بنموذج التشي الثائر يرددون عبارات مثل «يسقط يسقط حكم العسكر» وهو ما يدفعك للتساؤل عن طبيعة مهنة التشي إبان الحراك الثوري في أمريكا اللاتينية! هل كان «كاسترو» مولعا بفن الباليه المائي مثلا وأسند إلى التشي رئاسة دار الأوبرا وقتها؟ ربما.

أما صورة (شاه روخان) فهي تعبر عن حالة الانبهار الكامل بذلك الفتى الوسيم الهندي، ناهيك انها تمثل جزءا عملاقا من الخيال عن فتى الاحلام المنتظر! وهي حالة من عدم الواقعية المفرطة، فـ شاه روخان هندي مبدئيا والهنود ليسوا كلهم كـ شاه روخان بالمناسبة! فـ «إم بي سي بوليوود» نجحت تماما في خداعكم. ثم هل هن يشبهن «ايشواريا راي» مثلا ليقع في حبهن شاه روخان؟

أما «الحالة» فعمقها لا يتناسب مع كمية التعليقات او (لايك) قدر ما يتناسب مع نوع صاحبها. اترك شابا يكتب رباعية لجاهين فستجد ردين او خمسه كحد اقصى ومعظمها تهكمية من أصدقائه الذكور، واترك فتاة

تكتب نفس الرباعية مليئة بالأخطاء الاملائية لترى كمية التعليقات، كم انت رائعة كم انت حساسة! واااااو جاهين !! كم أعشقه! وعدد لا نهائي من (لايك) و طلبات الصداقة!

ودائما ما تقابل الشاب الفايسبوكى المتذاكى الذي سيحاول لفت انتباه صاحبة الحساب بأن يثنى على قدرتها الرائعة في تأليف الشعر رغم أنه يعرف أن الشعر لصلاح جاهين! وستقابل المتحرش ذو الخلق الحميد الذي يتغزل في صورتها حتى لو كانت صورة غير حقيقية، ثم يتبع عبارات الغزل بضرورة الحجاب وربما يعرض عليها الزواج لسترتها! ولو أن هذا الوجه الجميل فوقه نقاب لكان أجمل! تبارك الخلاق ياسيدتى! سيتحول فجأة إلى «محمود درويش» ليثير إعجابها.

الحالة ايضا لا تعبر عن السن، فلا تستغرب أن فتاه فى الثانية عشرة تكتب: محدش بينجرح أوى غير لما بيحب قوى! وعليك لو كنت تعرف أحد والديها أن تنبهه لموعد تطعيمها القادم.

ومن الأشياء التي لا يمكن إغفالها في جداريات فايسبوك هي جداريات من يجمعهم ارتباط ما أو خطوبة فهو حالة تستحق الدراسة. هؤلاء القوم لا يكفيهم عروض شركات الاتصالات والدقائق والرسائل المجانية ولا يهمهم أن أنظمة الهواتف المحمولة ومطوريها وفرت لهم كل سبل «المحن» من برامج دردشة واتصال صوتي مجاني ويصرون أن يكون فايسبوك شاهدا على مشاعرهم الملتهبة. حتى وإن كان للقدر رأي آخر، سيظل فايسبوك شاهدا على براعتهم في فنون العبارات الموجهة و «تلقيح الكلام».

فايسبوك السياسيين الجدد جدير أيضا بالاهتمام والملاحظة .. فلا يمكنك أن تكون ثوريا دون أن يكون لديك أكثر من «بوست» تمتدح فيه البرادعي وتعتبره أمل مصر القادم ضد موجة الارتداد التي يقودها الفلول. لابد أن تكون ضد ترشح أي شخص آخر لأن البرادعي هو الامل مهما توارى عن

الأنظار أو تجاهل مريديه في كل الاستحقاقات السياسية السابقة.
أي كلمة عن رأى الشعب ستحيلك إلى محكمة عن الأخلاق ومنذ متى كان الشعب هو صاحب الحق؟ رغم هتافهم الدائم بأن الشعب يريد! ثم تصطدم بمدع للثقافة يقول لك على سبيل الفخر أن عشرة حمير لا يمكنهم أن يكونوا على صواب بالنسبة لرأى إنسان واحد! ولا تحاول أن تسأله عن «بسمارك» صاحب العبارة، لقد أعجبته الجملة وبدت عميقة جدا وتؤكد شعوره الدفين بمدى أهميته المفرطة لا أكثر.
هناك نوع أخير لا يستحق عناء الذكر فهو لزج وسخيف لدرجة تدفعك دون سابق معرفة لأن تحظره تماما. إنه ذلك النوع الذي يصر أن الشيطان ترك كل مهامه فى الدنيا ونسى وظيفته المقدسة التي طرد بسببها من الجنة وتحول من إغواء الأتقياء الصالحين وتفرغ لإلهائك عن مشاركة المحتوى المقصود! إن لم تستطع إيجاد حاصل ضرب ٥٦٩٨٩٤ × ٢٣٦٨ وقسمته على ١٢٠ في ثلاث ثوان فاعلم أن الشيطان هو الذي منعك.
وبالحديث عن اللزوجة والسخفاء لا يمكن أن نغفل الذين يتعاملون مع فايسبوك كأنه بلاي ستيشن ويحاولون إجبارك بشتى الطرق أن تبادلهم الطماطم والألبان في المزرعة السعيدة متحدين بمنتهى الاستخفاف رغبتك في عدم اللعب. هؤلاء يستحقون عقابا ساديا يليق بمدى سخافتهم فعلا.
فايسبوك .. ذلك الموقع الذي يمكنه قتل وقت فراغك لو كنت مثلى تستخدمه للتسلية أو «الرخامة» مع اصدقائك المقربين لتعوض عدم وجودك الفيزيقي معهم يمكنه أن يصيبك بأعراض العته من كثرة ما تشاهده. لكنك لا تملك حق الاعتراض أيضا! فهو مجرد مساحة شخصية لكل فرد ليستخدمها كما يشاء للأسف. ولا أملك في النهاية إلا تقديم التحية لهؤلاء الأقلية من البشر الطبيعي الذين يستخدمونه في حدود استخدامه.

٢- تويتر

أهلا بك في عالم النخب! أو كما تحب أن تسميهم إحدى الصديقات المميزات بالـ «إيلايطس». بداية يتربع تويتر على قمة مواقع التواصل الاجتماعى المهتمة بضم المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء. هناك دائما من يستطيعون الإفتاء في كل شيء، اقتصاد، سياسة، رياضة، توازنات قوى إقليمية، نتائج انتخابات، أمراض ضغط الدم والبثور الجلدية. يثرثرون في كل شيء حرفيا، ولا يهم إن كانت تلك المعلومات صحيحة أم لا، فمنذ متى كانت الدقة أحد معايير الثرثرة؟

الجدير بالذكر أن «تويتر» رغم بساطة الانشاء والمقصد لا يخلو من لمسة التمصير! حيث تختفي وتتنحى صفة العموم ويتم استبدالها بالجماعات. فتنغلق كل مجموعة لها انتماء فكري أو سياسي معين لتكوين زمرة مغلقة يُحكمون عزلتها عن العالم المحيط ليتسنى لهم إظهار مدى عبقريتهم المتأججة ورجاحتهم الفذة وقدرتهم على استقراء المستقبل والتنبؤ بأدق أدق تفاصيله.

دعنا من النماذج الجماعية، ففي النهاية يمكن دحض جهودي كباحث مهتم بغرباء الأطوار تحت مسمى حرية الأفراد في أن يكونوا واهمين! لكن هناك، يعيش كل فرد بشكل منفصل متقمصا دور البطل في أسطورته الخاصة، ويمكن أن نحصر معا أهم أصناف عالمهم الموازي.

قمة الهرم تبدأ مع المغرد العميق. هو من المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء بفطرته، صفحته الخاصة مزدحمة بالتحليلات والنقاشات مع أقرانه

العباقرة ووصلات للمواقع الإخبارية العالمية والمحلية والكثير من وصلات تغريداته السابقة المذيلة بعبارات مثل «ما قولنا كده» أو «شفتم»!؟ لقد فهم اللعبة مبكرا وابتعد بإرادته عن المشهد ليستمتع بمشاهدة الحفل الذي سينتهي بانتصار أفكاره طبعا! أفكاره بالنسبة له أحد أهم نواميس الكون الذي سيختل ميزانه عاجلا أم آجلا لأن لا أحد يهتم بما يقدمه من تنبؤات عظيمة.

ومن الأنواع التي لا يمكن إغفالها ظاهرة المغرد النجم. يتعامل مع نفسه كأنه رشدي أباظة مواقع التواصل الاجتماعية، صباح الخير مهمة جدا بالنسبة له، صورة حساء لسان العصفور لابد أن يشاركها مع متابعيه، مهلا! لقد اشترى حذاء جديدا! واااااو! لقد لعب مباراة كرة قدم بالأمس أسفرت عن خدش في معصمه، وفي نهاية اليوم لا ينسى أن يستكمل إحساسه المفرط بأهميته ليغرد لنا من الفراش مع مئات الوجوه التعبيرية الناعسة. من قال إننا نهتم! لا يهم، هو يرى أننا نستحق أن نشاركه أدق تفاصيل حياته لسبب ما!

وبغض النظر عن ترتيب الأهمية، يحتل المغرد الثائر ترتيبا مهما في إحصائيات المغردين غرباء الأطوار. المغرد الثائر يختلف عن الناشط السياسي، هو يتمنى أن يصبح ناشطا لكنه ضل الطريق أو مازال في حاجة لمن يكتشف موهبته. هو دائما غاضب، ناقم على كل شيء، معارض شرس من خلال وصلة إنترنت. لا يناقش أحدا ولا يقتنع إلا بما استقر في قناعته الشخصية، وبالتأكيد لديه حل واحد لكل شيء هو الثورة! لذلك تجده دائما يقول: مش ناسيين التحرير .. تعيش وتفتكر!

وكعادة مواقع التواصل الاجتماعية يظهر لدينا المغرد الرومانسي طبعا! هو شاعر بأنه شاعر في المقام الأول، ضل طريقه إلى هذا العالم الموحش والنفوس المقفرة كصحراء الربع الخالي. كل كلمة يتفوه بها يناجي فيها

سيدته متحديا نزار قباني ومحمود درويش رغم ركاكة أسلوبه وفداحة ألفاظه وقواعده النحوية وخطورتها على أمن اللغة العربية. وها هو نداء إنساني مفتوح لمن يعلم من هي «سيدتي» التي لا يمل من مناجاتها، أخبروها أنه متواجد على تويتر ليرحمنا ويرحم نفسه من هذا العقاب الذاتي.

تويتر عالم مليء بالمفارقات أيضا، وأهمها تلك الحرب المقدسة بين «عقلانيون» ومدعي التدين! عقلانيون مثلا يؤكدون أنهم في منأى عن كل تلك التفاهات لأن العقل هو السيد والدين ليس إلا مجرد وهم اخترعه البشر للتحكم في الآخرين، لكنهم بذكاء يحسدون عليه يروجون لعقلانيتهم من خلال تصرفات المدعين! وإصرارا على الانتصار في حرب احتكار الهراء يصر المدعون أن هؤلاء الـ «عقلانيون» فسقة وفجرة و ... إلخ وسينتهي بهم المطاف في قاع سقر لينالوا عذابهم الأبدي الذي لا يؤمن به «عقلانيون» أصلا!

وبالحديث عن الحروب لا يمكن أن نغفل حرب «الترينـد»! وبغض النظر عمن يتصور أن مجرد «هاش تاج» يمكنه تغيير العالم وتحريكه لصالحه تجد في هذه الحرب الشعواء بعضا من كوميديا السفه حين تجد أن «حمادة البهظ بيوزع فولورز» أو « أصحاب بسنت بيعملوا فولو لبعض»! منذ متى كان لكِ هذا القدر من المعجبين يا بسنت؟ ما علينا.

كما أنه عالم متخم بالظواهر الطريفة، كل متسابق في أي برنامج وكل رجل أعمال له جماعة من المحبين على تويتر لا تقبل أن ينتقده أحد! هم ليسوا «لجان إليكترونية» طبعا، هم فقط أوفياء لرجالهم وعلى أهبة الاستعداد لدحر من يفكر مجرد التفكير في انتقاد أحدهم.

أما الرأي العام فخيالا يعتقد سكان كوكب تويتر أنهم صناعه! لذلك تجد أنهم اخترعوا مفاهيمهم الخاصة للنقاش وتبادل الآراء كـ الهري والهري

الآخر، السف والسف المضاد، البؤس والبؤس البديل. وبعد أن يفرغوا من لعن جدود الجدود لبعضهم البعض يتظاهرون بأن لا شيء قد حدث!
مواقع التواصل مليئة بالجنون فعلا، وأحيانا تجبرك الموجة على الابتعاد لالتقاط أنفاسك رغم ما تحاول أن تستفيد منه أو ما تود أن تقضيه برفقة الأصدقاء. وللأسف قد تدفعك تلك الموجات على ضرورة التعايش معها أو تكتفي من الهراء وترحل لتتركها تعبث هي كما تشاء.

نوستالجيا

هاه! يا لطوفان الذكريات القادم من أقصى بقاع الجهاز العصبي يا بسنت! إنه الحنين إلى الإحساس الأول بكل شيء وتذوق انفعالاتك معه. هذا الشعور الذي يقودك للتخلي عن واقعك وإغماض عينيك والإبحار في الماضي بلا سبب تشريحي أو فيزيقي محدد. وهذا هو السؤال الذي نسأله جميعا لأنفسنا، لماذا نحمل في أروقة ذكرياتنا كل هذا الحنين إلى الماضي؟ هل تذكرين كيف كان لقاؤنا الأول يا بسنت؟ ربما كان في يوم اندماج مجرتي درب التبانة وأندروميدا، ربما في اليوم الذي اقتنع فيه الإخوان أن «مرسي» لن يعود أبدا وأن الانقلاب لم يعد يترنح أخيرا! ربما كان يوم مباراة منتخب مصر الحاسمة ضد منتخب غينيا الاستوائية الذي خسرناه في الدقيقة الأخيرة والذي كان كفيلا في حالة الفوز بصعودنا لكأس العالم! الأكيد أننا التقينا عدد لا نهائي المرات في ملايين الاكوان والحيوات، وكان يوم لقاؤنا تاريخيا لدرجة أنه لم يحدث حتى الآن!

لنترك الماضي القادم من المستقبل قليلا! ولا داع لتلك النظرة المتسائلة يا بسنت، المستقبل ببساطة هو ماضٍ، لكنه لم يأت بعد! لنسترخِ ونسترجع بعضا من ذكرياتنا التي حدثت في الماضي القادم من الماضي.

بالنسبة للجيل الذي ننتمي إليه تعتبر فترة التسعينيات هي الكنز المفقود. مجرد أن ننظر إليها ينتابنا ذلك الشعور اننا نتحدث عن حياة أخرى من الماضي السحيق! كان كل يوم له طقوسه الخاصة طبقا لما سنشاهده في

التلفزيون. في الجمعة كنا نبدأ يومنا بمراقبة الوقت حتى ينتهي برنامج «صباح الخير يا مصر» الممل والثابت كالأهرامات رغم السنين حتى يحين موعد أفلام الكارتون التي كانوا يقطعونها كالعادة لبدء بث شعائر صلاة الجمعة. يوم الجمعة كان حافلا بالمواد التليفزيونية فعلا مثل سر الأرض وعالم الحيوان ومسلسل هرقليز. وكانت النسخة البدائية من برامج «ريهام سعيد» تأتي في العاشرة مساءا تحت عنوان «بين الناس» ومن قبله كان «خلف الأسوار» وهو البرنامج الوحيد الذي اقتحم عالم السجون والعنف قبل أن تصبح تلك المشاهد اعتيادية بحكم تكرارها في حياتنا وعلى الشاشات يوميا.

كما لا يمكن أن ننسى سحر «نادى السينما» وعيوننا المفتوحة حتى نهاية التترات، أو «تاكسي السهرة» ومشاهده الحصرية. أما الأربعاء فكان اليوم المفضل لدى الكثيرين بسبب برنامج «اخترنا لك» طبعا! كما ارتبط يوم الأربعاء برائحة إعداد «المحشو» استعدادا لغداء يوم الخميس الدسم! ويأتي الخميس بفقرة اليوم المفتوح وينتهي في السهرة مع برنامج «أوسكار» النافذة الوحيدة لروائع السينما العالمية وقتها.

لم يكن هناك برامج «توك شو» بمعناها المعروف لحسن حظنا، وكانت برامج التسلية في صورتها الأولية. ويكفي أن نذكر «كلام من دهب» لنسترجع بداية تكوين واحدا من أهم معالم الشخصية المصرية وهو الوقوف لمشاهدة أي تجمع به كاميرا والتلويح لها بحماس! ولا يهم إن كانت إجاباتك خاطئة أو ساذجة، سوف نظهر على التلفزيون! كان هذا كافيا ليتخطى الجميع شعورهم بالإحراج. هم مشهورون الآن!

الشوارع كانت تهدأ تماما بحلول السابعة مساءا لأنه كان موعد الدراما اليومية التي كانت من أهم علاماتها مسلسل ليالي الحلمية وأرابيسك وقضية عم أحمد. فما زلنا نذكر حتى الآن جملا أكسبها الزمن صفة

التاريخية مثل «عباس الضو قال لأ» وأسماء الأبطال مازالت عالقة فى أذهاننا مثل «حسن بطاطا» وبعض الأماكن التي لم يجرؤ الزمن على الاقتراب منها مثل «فيلا زقزوق السكري». ناهيك أن موسيقى وأغان التترات كانت عالم منفصل بحد ذاتها.

وبغض النظر عن الكينونة الاشتراكية المميزة لدراما تلك الفترة وما قبلها، لكنها ترسخت في وجدان الجميع وبشكل لن تستطيع الدراما الحديثة منافسته لأسباب عديدة منها الابتعاد عن طبيعة وحقيقة المجتمع أو تجاهل التكوين الجديد للطبقات الاجتماعية ذاتها! وزيـادة جرعة المعروض منها وتعدد مصادرها بالطبع.

حتى التسلية والألعاب كانت لا تزال بكرا، وكان من يملك جهاز «الأتاري» كان من أغنياء القوم وقتها! وربما أهداه إليه أحد أقاربه الذين يعملون في الخارج. وبرغم قلة أدوات التسلية المتاحة مقارنة بالأجواء العامة الآن كان اختراع أساليب التسلية أهم ما يميز تلك الفترة فعلا.

ماذا عن المدرسة؟ المريول الموحد والكراسات التي لابد أن يحتوي غلافها الخلفي على بعض الإرشادات. الطبشور الرديء الذي قد يصيبك أنت ومعلمك بالربو ويدفعك مع كل احتكاك له مع السبورة للإصابة بالقشعريرة. قطعة الإسفنج الخاصة بتنظيف السبورة التي يحافظ عليها «أمين الفصل» كعهدة يكلفه ضياعها عقاب أليم فعلا! ساندويتشات الجبن الأبيض بالطماطم أو الجبن الرومي بالفلفل، لم يكن معظم الآباء حينذاك يثق في هذا الاختراع الذي أطلقوا عليه اسم «لانشون» ولم تكن الجبنة المثلثات أو سهلة الدهن المعبأة في الكاسات الزجاجية قد غزت الأسواق بعد! حتى الأطعمة الجاهزة كانت في أبسط صورها، وللمفارقات الطريفة أن الشيبس وقتها كان بأطعمة محدودة جدا مثل الملح، والفراخ بالكاري لسبب مجهول حتى الآن لماذا الكاري تحديدا! والطماطم كما تعني كلمة

طماطم، حيث لم يكن «الكاتشب» قد اكتسب عالميته في مجتمعنا وقتها. أما الأزياء فكانت عالم حافل! كانت أحلام شركات الأحذية الرياضية أن تجد طريقا تسويقيا لأبناء جيلنا، وكان عليها أن تقدم لنا اختراعا ينافس اختراع الحذاء المضيء وقتها! وكان ارتداء الجينز علامة مميزة لطبقتك الاجتماعية. وقبل اكتشاف «السويت شيرت» كان لدينا اختراع نسميه بالـ «هاى كول» وهو أشبه بفانيلة داخلية مزدوجة الطبقات ذات رقبة صالحة للثني لتبرز في مقدمتها نقشة مميزة تطل كخلفية زخرفية لها دلالة ما نجهلها حتى الآن.

حتى الحجاب كان بسيطا ولم يكن بتعقيدات الألفية الجديدة، حيث كانت تبدو رؤوس النساء بأحجامها الطبيعية دون أن تحمل أطنانا من اللفافات القماشية لتجاري صيحة العصر! وكان هذا العصر هو عصر ما قبل العباءات السوداء والإسدالات بالطبع.

حتى عندما بدأت التكنولوجيا بالتسلل إلى حياتنا كانت تحمل قدرا لا بأس به من البساطة أيضا، ولنتذكر معا أن بداية ظهور «الدِش» كان عن طريق أجهزة استقبال تناظرية الموجات وليست رقمية كما هو الحال الآن! وبرغم جودة هذا الاختراع إلا أنه لم ينل من قدر التسلية والترفيه الذي كان يقدمه لنا «الفيديو» إلا بعد سنوات. الفيديو كان بمثابة صندوق الدنيا فعلا، أحد البوابات المحدودة التي كانت تقودك للسينما المحلية والعالمية رغم تشويه المترجم لأسماء الأفلام وإصراره على وضع بصمته خاصة فيما بتعلق بألفاظ السُباب، فكان لها ترجمة موحدة وهي تبا لك.

ربما تتساءلين الآن يا بسنت! لماذا كل هذه الذكريات؟ أنا في الحقيقة لا أعلم، ربما كانت الحاجة لأن تشعري أنكِ أصغر مما يشير إليه عداد سنواتك المستمر في الدوران والازدياد وكأنه يعمل بلا مكابح! أنك عشتِ فترة كانت الحياة فيها أبسط من كل التعقيدات المحيطة بنا الآن حيث

يمكننا الشعور بالغضب والفرح والقلق بمشاعرنا الحقيقية دون أن ينوب عن ذلك أحد الوجوه التعبيرية في مواقع التواصل. أو ربما حاجتك لصنع تاريخ وتكوين كتاب ذكرياتك الخاص الذي سيزيد مع الوقت وسيتسع لاستيعاب هذا العصر الذي سننظر له بعد فترة أنه كان أفضل مما سوف نحياه! إنها الحاجة لتكوين الذكريات يا بسنت. أرشيفنا الدائم للحنين، وبنك الشجن المتجدد عندما تحين لحظات البكاء الصامت.

ثلاث دقائق

الكورنيش لم يتغير بعد. بائعو أي شيء بالسكر وكل شيء بالملح مازالوا فى أماكنهم. فلوكات النيل خاوية من الركاب وزاخرة بالتلوث السمعي على غرار أجوجوجوجو والست لما وهذا الهراء. لافتات الدعاية الانتخابية لبرلمانات العصور الحجرية وانتخابات الرئاسة بنسختيها الأخيرتين مازالت هناك لتثير فى نفسك الاشمئزاز. تقريبا كل الهراء هو نفسه لم يتغير ولم تمتد إليه تلك اليد العابثة حتى الآن وهو ما يثير فى نفسك التساؤل، لماذا كل ما يستحق العبث لا يعبث به أحد؟ لايهم.

جلست على الكورنيش وأشعلت سيجارتي وأخذت أنفث دخانها فى تأمل وظهري للنيل طبعا حتى أتلاشى النظر إلى كومات القمامة الملقاة على ضفتيه والتي يتحاشاها أيضا هؤلاء العشاق برؤوسهم المتقاربة وأفواههم التي لا تمل الثرثرة سواء كانت ثرثرتها همسا او ضحكات رقيعة مجلجلة، النتيجة فى النهاية ضوضاء لا يمكنك أن تتبين أي حرف منها على الإطلاق.

نفس آخر أنفثه بتأمل وأنا أفكر، ما زلت ذئبا وحيدا وحالتي العاطفية بؤس! مراكز العاطفة ذاتها قد تلفت تماما إلا تلك الخلية التي مازالت مثل فنارة فى قلب محيط، هي الوحيدة التي حركت فى داخلي شيء ما وصاحبة الفضل فى بقاء خلية واحدة فى جميع مراكز الحس العاطفي التالفة تعمل بكفاءة لدرجة تقودني كل يوم إلى نفس المكان فى نفس التوقيت لأجلس

نفس الجلسة لنفس المدة التي لا تتجاوز الدقائق الثلاث لأنظر إليها وهي تعبر أمامي.

وما ان تظهر كالفراشة قادمة من بعيد، يتبدل بي الكون في لحظات. لا أشعر برائحة القمامة، حتى نبات ورد النيل أراه بستانا تتباين ألوانه في انسجام، ثرثرة العاشقين من حولي تصبح لحنا ديناميكيا يعلو ويتسارع كلما اقتربت بخطواتها الرشيقة. حتى بقايا بوسترات محمد مرسى وحازم أبو إسماعيل تتحول إلى أعمال فنية بديعة وغاية في الرقة، بل ربما رسمها فان جوخ أو فيرمير! وما إن تمضي حتى تعود كل الأشياء لقبحها المألوف وكأنها سندريلا تضفي بسحرها جمال على كل شيء.

سيجارة أخرى تشتعل .. لابد من أن أحسم قراري الآن فلن أخسر شيئا، فإن لم تكن تشعر بي فهو شيء متوقع، وان كانت تفهم ما وودت أن أبوح لها به فهي السعادة الخالدة. لن أخسر شيئا، أخذت أرددها فى نفسي على أمل أن ترتفع معنوياتي. لن .. لحظة، لقد ظهرت وانهارت معنوياتي تماما! سأتماسك .. الوضع ليس بهذه الخطورة! فحين تقترب سأقف على مسافة تسمح لي بان استوقفها، ابتسم لها وأحييها، اقوم بحك مؤخرة رأسي بأصابعي لاسترعى انتباهها فهي حركة مجربة وناجحة في معظم الأفلام الهندية، ثم اقول لها: انا بحبك يا «بسنت» وطبعا قبل أن تنطق بحرف سأتابع قائلا: مش عاوزك تردى دلوقتى .. فهي حجة ناجحة لكي أرها مرة اخرى ... والآن راجع التعليمات مرة أخرى بتأن وبدقة. تأتى اقف اهرش اتكلم تندهش، تأتى أقف اهرش أتكلم تندهش .. حسنا، استعد يا فتى لقد حانت اللحظة.

كانت تقترب بخطواتها الثابتة الرشيقة كعادتها، وقفت أمامها على مسافة تسمح لها برؤيتي وانا استوقفها. لوحت لها بيدي، لحظة .. لقد خلعت عن عيناها نظارتها الشمسية ونظرت نحوي مبتسمة! لوحت لها مجددا

بشكل أكثر جنونا، فلوحت لي بدورها، تبا للأدرينالين! المسافة أصبحت أقل من عشرة خطوات وعقلي يتخيل كل أنواع الحوارات المتبادلة كضيفين دائمين على فضائيات الجزيرة. تُرى .. أيا حبيبة قلبي، هل , ٥٨٥ن النوتيلا؟ لا؟ وأنا أيضا، ولا أدري سر إعجاب الإناث بمسحوق كاكاو سائل يثير الغثيان! ماذا؟ لا تتخيلين حياتك بدون النوتيلا؟ ولا أنا أيضا! هذا المزيج السحري بين الشوكولاتة وزبدة الفول السوادني لها مذاق الجنة. ترى هل انتخبت السيسي؟ عفارم! فهو رجل المرحلة بجدارة. ماذا؟ حمدين!؟ حمديـــــــــن! لا بأس، كنت أشعر بأن نبضاتك المتسارعة تخفى روحا ثورية عميقة، ولا أعرف كيف ينام أحدهم ونحن تحت حكم عسكري فج! لكننا #مكملين طبعا!

خطوتان تفصلني عنك يا حلم حياتي. مدت يدي أحييها فبادرتني وقالت بصوت آسر متناغم: هاى! فقلت أيضا: هاى يا ..... انا كـ ... لحظة! انها لم تلحظ وجودي حتى! نظرت خلفي فوجدتها تعانق صديقتها الأنتيم التي كانت تنتظرها خلفي مباشرة وعيون كل الواقفين تنظر نحوي بسخرية لا حدود لها! حتى ذلك المتسكع الذي كان يتبول فى النيل ينظر لي بشماته وهو يغمز بعينه كأنه اكتشف سر الوجود في هذه اللحظة بالذات!

مشاعر أبوية

تخيل أنك تحمل وليدك الجديد الذي لم يكمل يومه الثاني في هذه الحياة متجها به إلى مكتب الصحة لتسجيل اسمه، فيسألك الموظف المختص: هاتسميه ايه ان شاء الله؟ فتجيب بكل إشراق متجاهلا نبرات صوتك المرتعشة وعيناك التي قد اغرورقت بالدموع: هاسميها كوثر على اسم حماتي!

أيا كانت أسبابك الأمنية التي تجعلك تغامر بتسمية طفلة بهذا الاسم وهي لا ذنب لها في الحياة إلا أن جدتها تحمله، لكنه حق مطلق في النهاية. تخيل إذا عند ذهابك لاستلام شهادة ميلادها لتفاجأ أن هذا الموظف قد سجلها باسم مختلف!

دعك من حقيقة أن لا أحد سيصدقك وقتها وستجد نفسك متهما بكسر وصية حماتك. لكن انظر للجانب المشرق ونصف الكوب الممتلئ من هذا الموضوع، ستكتشف أن هناك فعلا من يهتم! وقليلا ما تصادف مثل هؤلاء الذين يتعاملون معك بمنطق أبوي بمنتهى الإخلاص. أنا من هؤلاء الذين يقدرون إحساس الآخرين بالمسئولية تجاهي، كوثر! تبا .. شكرا يا عزيزي موظف الصحة!

وبالحديث عن مشاعر الأبوة، هل لاحظت أنك عاق لمثل هؤلاء الأشخاص

في حياتك العامة؟
ما قولك في مديرك في العمل الذى يأبى مهما حاولت أن يزيدك قرشا واحدا على ما تتقاضاه من مرتب؟ دائما ما تفسر الأمر أنه تعنت أو «استخسار» وينعكس عليك بشكل سلبي لتقرر العمل «على قد فلوسه». لكن هل لاحظت أنه يفعل ذلك بدافع مسئوليته الأبوية تجاهك؟ هو يعرف تماما أنك لا تستحق إلا ما تتقاضاه فعليا وأن أي زيادة حاليا ستفسد أخلاقك حتما!
حاول أن تجد الفارق بين والدك الحقيقي الذي منعك من زيادة المصروف وبين مديرك ووالدك الروحي الذي يمنع عنك أسباب فسادك، لكنك حتما لن تفهم الامر إلا حينما تصبح مديرا مثله وستعرف معنى شعورك الأبوي تجاه موظفيك.
إدارة المرور أيضا تتعامل معك بمنطق تربوي وأبوي بحت، أنت سائق وغد وغالبا لا تتبع الإرشادات المرورية وبالكاد تربط حزام الأمان لو صادفك «كمين» ثابت.
لذا فهي تعمل على تعلية المطبات الصناعية لتأديبك ودون أن تضع لك علامات إرشادية كافية.
فلو كنت سائقا يعرف معنى آداب الطريق لن تفاجئك تلك المطبات التربوية، أما لو كنت من هؤلاء الذين يتصورون أن سيارته «اللانسر الفضي» هي أسمى ما توصلت له مصانع السيارات في العالم من تكنولوجيا فتلك المطبات كفيلة بتحطيم «عفشة» سيارتك تماما كي تتعلم التواضع.
وجود هذه المطبات مرهون بقدرتك كسائق على احترام الطرق، ومتى احترمتها فلن تزيلها هيئة الطرق طبعا! لأن هناك جيل جديد من الأوغاد عليه أن يدفع الثمن حتى يتعلم احترام الطريق والتواضع مثلك تماما.
مطاعم الوجبات السريعة مثال آخر على هذه اللمسة الأبوية الحانية،

هل تذكر عندما كان والدك في الطفولة يقول لك: لو خلصت طبقك كله هاجيبلك مصاصة؟ هذه الطريقة التشجيعية تجدها أيضا في المطاعم. إنهم يحثونك على أن تنهى وجبتك، وهديتك مضمونة أيضا. فقط اشترى هذا الساندويتش أو هذه البيتزا واحصل على وجبتك الأخرى مجانا. ولا يتوقف احساسهم بالمسئولية عند هذا الحد، وتفاديا لأضرار الوجبات السريعة فهم يجعلون منها وجبة متكاملة الأركان الغذائية بكمية ما يقومون بحشوه لك من نبات «الخس» المغذ وحلقات البصل، حتى لو كان طلبك يتضمن خلوه من الخس أو البصل فلن يستمعوا إليك، والدك يعرف أكثر منك أيها الساذج! تناول الخس لأنه مفيد.

حتى إذا قررت أن تشترى قميصا جديدا، تجد البائع الأب يشجعك على أي اختيار تقوم به. واااااو! إنك تمتلك ذوقا ملكيا خاصا، هذا اللون يناسبك تماما. ولو قررت أنك بحاجة إلى لون آخر ستجده يثنى على اختيارك الجديد أيضا بل ويمتدح ذوقك للمرة الخمسين في أقل من دقيقة. هل لأنه يريد أن يبيع فحسب؟! تذكر أنه أب في النهاية ويريد أن يجعلك قادرا على اتخاذ قراراتك الصعبة.

أيا عزيزي .. دعك من التذمر من قدرتهم الدائمة على التنبؤ باحتياجاتك، هم من هؤلاء المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء. هم دائما يعرفون أكثر من اللازم.

إنهم يحكمون العالم!

هل تخيلت أن هناك شاب يجلس على مقهى ما يد تداعب مبسم الشيشة ويد تتصفح تويتر أنه يعتبر نفسه تهديدا للأمن القومي لدرجة أنهم يزيلون إشغالات مقهاه المفضل المخالف للقانون؟

لقد اعتبر هذا المدخن المتسكع نفسه محورا لاهتمام دولة! الأدهى من ذلك هو اقتناعه أن إزالة مجرد كرسي خيزراني يعيق حركة المرور بالمخالفة للقانون هو تصفية لحسابات سياسية! ومع كل، فهو مجرد حالة فردية وسط عالم تخيل معظم أفراده أن العالم يتمحور حولهم فقط.

تتجلى تلك الأضحوكة في فصل الصيف، خاصة حينما يتعلق الأمر بـ»الساحل». هناك من يعتبره منطقته الخاصة، تربى فيه منذ نعومة أظافره بل وشهد تكوينه أيضا منذ أن كانت شركة المقاولون العرب تنقل الرمال للشواطئ وتعبئ المياه المالحة في الصهاريج لتفريغها في تلك الهوة السحيقة التي تحولت للبحر الأبيض المتوسط بعد ذلك.

ولأنه يعتبره منطقة خاصة تجده يمارس دور الناقد الفني لكل من يصادفه هناك! بل ويتحسر على تلك الأيام الخوالي التي كان فيها ذلك الساحل هو

مكان يجمع صفوة المجتمع، والآن تحول إلى مزار عشوائي للفلاحين الأوغاد الذين يهددون خصوصيته.

وبرغم اعتبارهم تهديدا لنمط حياته واختراقا لخصوصية مكانه المفضل لا يكترث هو لخصوصيتهم، بل تجد كاميرا هاتفه على وضع الاستعداد الدائم لكي تلتقط صورة الموسم حينما يظهر أحد هؤلاء البسطاء على سجيته وسط علية القوم من صناع أسطورة الساحل ليتناقلوها بمنتهى الاستخفاف بمشاعر وكرامة هذا الرجل البسيط الذي قرر أن يستمتع بطريقته مثله مثل أي شخص طبيعي آخر!

وإمعانا في نظرية تمحور العالم حول هؤلاء تجدهم لا يرتادون مطاعم بعينها لأنها أصبحت شعبية أكثر من اللازم. مسميات الطعام نفسه أصبح يعبر عن مدى ما يعتقدون عن أهميتهم!

لم يعد «همبرجر» لأنها لفظة العوام البرجوازيين الجدد الذين لم يتذوقوه إلا عام ٢٠٠٤، لقد أصبح «بيرجر» الآن. مكرونة! ما هذا الانحطاط والتدني الأخلاقي؟ اسمها «باستا». انتشرت حمى الكاب كيك والتشيز كيك وقهوة اللاتيه مع الفانيلا والكراميل ليس لأنها أشياء لذيذة بقدر ما أصبحت وجاهة أو صيحة اجتماعية.

ولو أخبرتهم مثلا أن هناك مطعما فاخرا يقدم اللحم مطبوخا بالعسل لدفعوا مقابل هذه الوجبة من ذلك المطعم الفاخر قدرا لا بأس به من المال، لكنهم لو عرفوا أنها أكله شهيرة جدا في المطبخ «الشعبي» اليمنى لصرخوا من هول ما سيشعرون به من غثيان.

لم يعودوا يتسوقون من بعض المتاجر لأنهم اكتشفوا – ويا للفاجعة – أن هناك بشرا غيرهم يشترون ملابسهم وحاجياتهم من نفس المتجر. بل يصبح من العيب ارتداء نفس القميص أو التنورة أو حتى «الشبشب» التي صادف أن رأوا آخرين يرتدوها. وكأن ذلك المصنع القابع في قبو منزل

صيني فقير صمم كل هذه الأشياء لشخصه دون سواه من بقية أبناء آدم. مع الحياة وسط هؤلاء البشر تتمنى فعلا لو أننا مازلنا تحت نظام الاشتراكية الاقتصادية، حيث تسمح لهم الدولة بمستوى المعيشة التي تعتبره هي مناسبا للجميع. حينما يرتدى نفس القميص الذي يرتديه حارس الجراج والذي اشتراه كلاهما من عمر أفندي أو شركة بيع المصنوعات سيعرفون فعلا أن لا فرق سوى أنهم مرضى بهوس الاختلاف والتميز. سيعرفون حينها معنى حق الآخرين في أن يكونوا على طبيعتهم وقتما أرادوا ذلك، وأن ذلك الحق ليس مجرد تشدق أجوف بالمصطلحات لينالوا به الإعجاب على صفحات الانترنت.

إمبارح كان عمري .. عشرين!

كم شروقا عاصرت للشمس؟ كم عدد الأيام منذ مولدك حتى الآن؟ هل فكرت يوما في حسابات كهذه؟ دعني أجيبك. لقد أشرقت الشمس في حياتي ١٠,٥٨٥ مرة، عشت تقريبا ٣٤٨ شهر، في آخر ست سنوات أي آخر ٢,١٩٢ يوم قضيت منهم ١٣٥ يوم فقط في مصر! ولو كنت مهتما بالأرقام لأدركت من هذه المعطيات المحبطة أن عداد سنواتي يشير للعام التاسع والعشرين حيث أصبحت طاعنا في السن بما فيه الكفاية فعلا!

أذكر في العام ٢٠٠٦ بعد مباراة كأس العالم النهائية بين إيطاليا وفرنسا جلست مع أصدقائي على المقهى نحتفل بالفوز كإيطاليين أكثر تعصبا من سكان روما أنفسهم وكان بجانبنا منضدة حولها أربعة رجال يبدو من هيئتهم أنهم تجاوزوا العقد الرابع، قال أحد أصدقائي أننا يوما سنجلس نفس هذه الجلسة ونحن في نفس أعمارهم نتذكر أننا كنا صغارا يوما ما! وها نحن نقترب وان كان ببطء من تلك اللحظة التي نتساءل فيها بجدية، هل كنا صغارا بحق؟ أم أن هذه الذكريات المبعثرة ماهي إلا بعض الخيالات التي تلفقها لنا الذاكرة عن ماض لم نعشه من الأساس؟

ربما عشناه في فترة ما لكن المسافة التي يمكننا أن نقطعها لنتذكر ما فيه مرهقة إلى حد يدفعنا للكسل عن البحث، ثم مزيد من الكسل يؤدى لفقدان المزيد من الذكريات وهو ما يدفعك للعودة لنفس السؤال .. هل كنت صغيرا يوما ما؟ دائرة مغلقة من الجدل.

الحقيقة المجردة بغض النظر عن خاصية تآكل الذاكرة التي تنتعش بعد كل دورة للأرض حول الشمس أننى عشت رضيعا وطفلا وشيطان لزج يجيد تحطيم أي شيء لا ترغب امه في أن يتحطم، ثم شاب يظن أن العالم سيتوقف منتظرا لليوم الذي سأتوجه فيه لشباك «شئون الخريجين» لاستلام شهادة التخرج ذات الخط المنمق إياها. لقد استملتها ولم يتغير شيء بالمناسبة، كنت من هواة تحطيم التابوهات في تلك المرحلة وأقسمت أننى لن أعلقها في الصالون بجانب شهادات الأسرة ولم أعلقها فعلا. لكنى ما عدت أذكر أين وضعتها حقا! فلم يتبق من اثبات أننى حاصل على شهادة البكالوريوس سوى ورقة زرقاء قبيحة الشكل والمحتوى ولن أغامر بإظهارها للنور مهما كلفني الأمر، والغريب أننى لا أنسى مكانها أبدا! ورغم ذلك لا تنتظر منى أن أحكى بعضا من ذكرياتي فقد قصصت منها الكثير فعلا! ولا تنتظر منى أن أحدثك عن تجربة فقدان السنين كمغترب لأنني لا أجيد «اصطناع الشجن» أيضا، فقط لندع الأيام تمر بسرعة وهدوء حتى يحين موعد الإجازة القادمة.

في مثل هذا السن يجلس حولك أطفال العائلة بصفتك من أولئك المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء. الأطفال يقدسون السن ويحلمون باليوم الذي يكبرون فيه ليصبحوا مثلنا، ولو أنهم يعرفون الحقيقة لتوقفوا عن تمنياتهم بان يكبروا يوما واحدا فهم لن يصبحوا أبدا من المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء. نحن نفقد مع الزمن أكثر مما نكتسبه، هذا ما نكتشفه كلما تقدم بنا العمر.

ولنتساءل معا، ماذا أفقدك السن؟ كلما تقدم بك العمر يضفي عليك الزمن ما يسمونه وقارا! وهي أكبر خدعة في التاريخ بعد «حصان طروادة» أو كخدعة أن الشباب لا يبدأ إلا بعد الأربعين حين يقولونها لك أيضا على سبيل المواساة. الحقيقة أن لا وجود لهذا الوقار، بل هناك قيود يفرضها عليك المجتمع بحكم أنك أصبحت كبيرا نسبيا في السن. لا يمكنك أن تذهب لمدينة ملاه قاصدا بعض المرح لأنك كبير على هذه التفاهات، حتى لو تغافلت عن تلك الملاحظة لن ترحمك نظرات من حولك خاصة الصغار الذين يتمنون أن يصبحوا في مثل أعمارنا وهم ينظرون إليك كعجوز متصاب لا يحترم وقاره ولا يحترم كونه من المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء الذين يشوهون سمعتهم بركوبهم القطار الافعوانى.

السن يفقدنا لذة الشعور بالبهجة أيضا، لن تستطيع الاحتفال بهدف لمنتخب مصر في مرمى الكاميرون كما كنت تحتفل سابقا بالصراخ وانت تقوم ببعض حركات الرقص التعبيري. وبغض النظر عن عدم إمكانية هز شباك الكاميرون في العصور القادمة لكنك ستكتفى بالتصفيق والابتسام، إنه الوقار كما تعلم.

إنها فترة ملعونة، لا يمكنك فيها أن تكون على سجيتك فأنت لست بهذا الصغر! ولا يمكنك أن تلعب دور الحكيم لأنك لست بهذه الكهولة أيضا! لكنك ومع مرور الوقت والزمن والسنوات تتأقلم مع الوضع الجديد، تعرف متى تبدو طائشا ومتى تضفي لمسة العمق على هيئتك.

أما ما نكتسبه حقيقة فهي لعنة منتصف العمر ومواجهة شبح الزواج. قطعا لن تتمكن من الزواج بفتاة أحلامك لأنها تزوجت فعلا منذ قرون! وبغض النظر أنها لم تعد تلك الفراشة التي كنت تقرأ من أجلها قصائد «خليل مطران» في كتاب النصوص، فقد أصبح لديها حياتها وأطفالها.

صدقني ستحمد الله في لحظة ما أنك نجوت من أبوة هذا النوع من

الأطفال الذي يهوى مسح أرضيات مراكز التسوق بملابسه وستحمد الله أكثر أنك لم تتزوج منها حين تكتشف أنها تنادي طفلها : يا بوووووودي! لكن الحنين القديم مازال يقرع الطبول في أروقة ذكرياتك رافضا الدخول إلى مفرمة النسيان مهما حاولت.

حتى وإن كانت الحقيقة العارية أنك لم تعد تهتم من الأساس، لكنك تعرف ألاعيب الحنين عندما يصور لك أن حياتك كانت من الممكن أن تتخذ منعطفا مغايرا لما تبدو عليه الآن.

دعك من ألعاب الحنين وحبك القديم، هل تخطيت مخاوفك وقررت الزواج أخيرا؟ حسنا .. أنت في وضع حرج واختياراتك محدودة وفقا لنظرية زواج الصالونات وليس أمامك سوى أن تتزوج من «بسنت» التي تصغرك بسبعة أعوام على الأقل. لا يوجد بينكما أي مساحات مشتركة أو أفكار تتبادلونها أو تصورا مبدئيا للحياة معا! جل ما يجمعكما أنكما قررتما اقتحام عالم واسع ومخيف من حيث احتياجه للخبرات والتفاهم المشترك كالزواج وكلاكما يجهل عن الآخر بقدر ما يجهله عن كيفية عمل مسبار فضائي يسبح في مدار كوكب المريخ الآن! ستتعود لأنك مجبر على التعود لكنك لن تستطيع اجتياز هذا الحاجز النفسي بسرعة.

لن تجد من هي فى نفس مستوى جموحك الذي يضعك فى مصاف المجانين، وفى المقابل أنت لا ترقى لوظيفة فارس أحلام يناسب أمينة رزق فى فيلم بائعة الخبز. هي وافقت لأنك فرصة جيدة لزوج تقليدي وفرصة مناسبة لأن ترتدى الفستان الأبيض أخيرا وتقذف ببوكيه الورد من خلف ظهرها لصديقاتها. وأنت قبلت لأنها من قلائل المختلين الذين يغامرون بالموافقة على زوج بالكاد تعرفه، كلانا يعرف هذا جيدا لكننا نقنع أنفسنا أن كل شيء سيصبح على ما يرام وسنصل معا لنقطة نقتنع فيها أن زواجنا جعلنا من المخضرمين العارفين ببواطن الأشياء.

ربما لم أصل بعد لمرحلة أن أصبح انطوائيا متوحدا مع أوهامي عن تلك الأيام الجميلة التي قضيتها أجوب الشوارع في مرح قبل أن اتحول إلى ذئب بشرى يهوى الوحدة، مازال أمامي الكثير لأحياه ومازال أمامي الكثير لأفعله. أنا لم اتخطى الثلاثين حتى الآن! رقم ٣ في خانة الأرقام العشرية ذو طابع كئيب فعلا. لكن مازال هناك متسع من الوقت لكي اتحاشاه وهو سبب جدير بالاحتفال.

بارافرينيا

يقول الرائع « أوسكار وايلد « أن الواقع يقلد الفن. وبما أن السياسة جزء من الواقع والأدب جزء من الفن يمكنك أن تربط بين بعض الأدب وما يفعله السياسيون الجدد. لا أقصد استغلاله للترويج فليس كل أنواع الأدب يستطيع السياسي أن يستغلها، فعالم نجيب محفوظ مثلا أبعد ما يكون عن استغلاله لأنهم لو نظروا للإنسان نظرة نجيب محفوظ سينتهي مجال العمل السياسي لأنهم فقدوا أهم جزء فى اللعبة وهو التجارة بالمعاناة. لكن القصد هو تشبيه أفعال السياسيين ببعض الأجواء الأدبية.

ماذا عن رواية «أنا وهو» لألبيرتو مورافيا؟ هناك بعض الفصائل السياسية التي ما زالت تصر أن تلعب دور بطل مورافيا باحتراف وتفان واتقان، يحاولون إيهامك أنهم غير راضين عن أداء الآخرين وأنهم معارضون أقوياء لكنهم فى حقيقة الأمر قوم من العجزة استسلموا لما يغويهم به «هو»! و»هو» فى حكاية مورافيا رغم جرأة خياله كان مجرد محفز يتلقى اللوم وكأنه يتصرف بشكل منفصل، بينما هم تخطوا مرحلة «هو» عند مورافيا ووصل بهم الإدمان ليصبحوا كـ مذكرات «مديحة» وهي بالمناسبة ملف وورد ضخم يعرفه معظم المراهقين تقريبا يحكى عن فتاة لعوب غامرت مرة ثم لم تستطع المقاومة، فبات الأمر بالنسبة لها نوع من أنواع المتعة.

ماذا عن عالم روايات «من الجاني»؟ هم بارعون فى تقمص دور المحققين لكنهم يختلفون كليا عن محققي «آرثر كونان دويل» أو «أجاثا كريستي» هم من نوع المحققين السذج الذين يحاولون إلصاق التهمة بأول مشتبه

به ويتصورون بذلك أنهم عباقرة! فما جدوى القصة بالكامل لو أن الفاعل ساذج إلى هذا الحد المثير للشفقة ليكتشفوه بهذه السهولة وهم يمارسون رياضة توسيع فتحات الأنف أمام قنوات الجزيرة؟ حتى عبارة « فتش عن المستفيد « يجدون لها ألف تفسير حتى تخضع لخيالهم الفقير وكسلهم فى البحث عن الحقيقة. من اقتحم السجون مثلا؟ من الذين استفادوا فعليا من فقاعة الصابون العملاقة التي عرفت بموقعة الجمل؟ من هو الطرف الثالث الذي كان يظهر ويختفى حسب نوعية المتظاهر ومكان التظاهر؟ لكن لماذا يرهقون وحدة التفكير فى أجهزتهم العصبية طالما أن هناك وهم صنعوه وصدقوه اسمه ثورة مضادة وفلول!؟ هل لأنهم لا يستطيعون التفكير؟ بل لأنهم عاجزون عن مواجهة الحقيقة التي تحاصرهم من كل اتجاه وتدفعهم للهروب والإنكار بل والمكابرة.

هل لاحظت التشابه بينهم وبين «الإخوة كرامازوف» لـ «دوستويفسكي»؟ إنهم إخوة ورفاق ميدان واجهوا رصاص القناصة وسنابك الخيول يوم موقعة الجمل معا! لكن الحقيقة أن كل فصيل منهم كان يمقت الآخرين مقته للموت. كل منهم كان ينسحب من مظاهرات الآخرين، وكل منهم اتهم الآخرين بخيانة الثورة ودماء الشهداء! بل امتد الشقاق إلى حد التربص، فكانت المظاهرات المناهضة للفصيل الوطني بعدما وصل بقوة الليمون المقدس لسدة الحكم دائما ما كانت تنتهي بالصفع والضرب والملاحقة في الازقة والشوارع. لكنهم في النهاية إخوة، ثوار ميدان واحد حتى لو لم يتفقوا حتى الآن عن هوية من حمى الميدان في يوم موقعة الجمل!

وعلى الجانب النفسي للسياسيين لا يمكن اغفال «دكتور جيكل ومستر هايد» لـ روبرت لويس ستيفنسون، والتي يمكنك أن ترى من خلال اسقاطها على الواقع كمية الفجوات بين حقيقة ما اعتقدوه وما تم تصديره

من خلال قناع الثورة. ففي بدايات المظاهرات كان الكل يحاول ايهامك أن كل من فى الميدان هو مالكوم إكس آخر، الكل متساوون، يأكلون كشري، يصلون فى حراسات الآخرين. ثم ماذا؟ معظم الشخصيات العامة التي ذهبت الى التحرير تم مطاردتها لأنهم طبعا من المنتفعين من النظام السابق ولم يكونوا متواجدين من البداية! لدرجة تقودك للتساؤل عن ذلك المالكوم إكس الذي ادعوا وجوده!

حتى عندما اختلط الدين بالسياسة كانت الحالة موجودة أدبيا وقدمها روى برادبرى في رائعته الخالدة «٤٥١ فهرنهايت» وكيف كان هدفهم الأسمى هو الحفاظ عليك فى صندوق مغلق يسمح بمرور ما يوافقون هم عليه وليس ما تريده أنت، هل وجدت أي اختلاف بين ما عرضته الرواية وبين ما شاهدته من التيارات المتشددة ورفاق الميدان؟ الفارق الوحيد أنها كانت رواية خيالية وما حدث كان واقعا صنعه مدمنو الأدرينالين. لقد كانوا يتناوبون الأدوار في تمزيق معنوياتك ببطء إلى أن تخمد فى داخلك آخر شرارة للمقاومة. لتتحول بعدها إلى مسخ، هيكل بشري دائم الذعر من مستقبل حياتك وسط حكام ملثمين يتغنون بالجهاد والمقاومة ومعارضون يوهمون أنفسهم أن فتات موائد السادة والسماح لهم ببعض الصراخ الإعلامي هو قمة العمل السياسي!

وفى حقيقة الأمر هم لم يجاهدوا ولم يقاوموا أو يعارضوا س، وهي لقد احتفظنا بقدرتنا على التفكير والرفض، لذا فقد تعدينا جميع الخطوط الحمراء بالنسبة لهم. كل ما كان مسموحا لنا أن نعيش كنسخ زيروكس بشرية مثل من يواليهم. يقولون فنسمع ونطيع، ويأمرون فننفذ، ويهتفون فنُطرب ونذوب وسط صرخات الجموع!

النهاية نفسها لم تبتعد كثيرا عن الأدب. وكانت أقرب لقصة العبقري يوسف إدريس التي حكت عن رجل يتجاهله الجميع فى كل مكان، يذهب لمنزله

غاضبا ليجد شخصا آخر فى بيته ومع زوجته فتدفعه الصدمة للانتحار من الشرفة لكنه يفاجأ بجثته على الأرض لأنه ببساطه كان ميتا بالفعل! لقد كانوا مجرد ظاهرة صوتية تعاني من مرض الذهان التخيلي، وهي مهما استمرت تبعاتها فستنتهي لتعود الحياة للانتظام.

الحياة بالقصور الذاتي

التكرار في هذه الحياة جعل منها أسطورة حية في الملل، حيث لا يوجد أدنى تغيير ولو على سبيل الصدفة. نفس العمل اليومي الذي لم يعد أحد يقوم به من منطلق الإجادة بل على سبيل الاعتياد، نفس الأخطاء الروتينية التي يمكن لأي طفل في الخامسة الابتدائية أن يتلاشاها لكنهم يبدعون في أساليب تكرارها متلاعبين في مستوى ضغطك بامتياز!

تنتظر نهاية الأسبوع، لكن ما الجديد؟ لقد زرت كل الأماكن من قبل، قمت بتجربة جميع أنواع الآيس كريم المتاحة. كل ما ستفعله قمت به من قبل وتكرره على سبيل كسر الملل الذي تعاني منه فعلا!

هل تريد أن تكتئب في سلام نفسي بعيدا عن المتطفلين أو من يزيدون الطين بِلة؟ ممنوع! حتى في حياتك العامة قد سُلب منك الحق في أن تكون مكتئبا، وما ذنب الآخرين! هؤلاء الآخرين هم محور كل شيء في الحقيقة بدءا من أطقم ملابسك يوم كنت طفلا حتى ذلك المقرئ الذي سيستأجرونه لقراءة القرآن على روحك وهم منشغلون عنه بالحديث عن مباريات كرة القدم وتبادل المقاطع بالبلوتوث كالعادة.

دعك من هؤلاء الآخرين الذين يحكمون كل تصرفاتنا، من يملك الوقت والاستعداد الكافيان لسماعك وكلُ منشغل في كآبته الخاصة؟ فكر في المنفعة التي ستعود عليك كمستمع، ماذا ستستفيد عندما تهتم بكآبة الآخرين أو ما الذي يدفع أحدهم للإصغاء؟ عليك أن تحدد الهدف من الثرثرة مع الآخرين حول أوجاعك، هل بغرض البحث عن المواساة أم لإثبات أنك مكتئب فعلا؟ الخلاصة ألا تغامر بالحديث مع شخص سينتهي

حوارك معه بـ «معلش» لا تغامر أصلا.
جرب أن تهرب إلى الفراغ الإليكتروني وحاول أن تصرخ منفردا ستجد أنك وقعت في شرك «المُحن»! بل ربما تصبح نكتة أخرى يتم تداولها وتصبح ذلك الأبله الذي تصور في لحظة غباء قياسية أن هناك فعلا من يهتم! في عالم الفضاء الافتراضي كلهم مهمين طبعا! بل وصلت درجة البيض».إلى مربعات الغليان حيث لا مجال لتفاهتك تلك. هم منشغلون دائما بكتابة دساتير الأكوان وقوانين العوالم الموازية وتحليل كل القرارات التي تتخذها أي حكومة في العالم ومدى ارتباطها بالثورة أو بالفلول أو بالحرب ضد الإرهاب.
ثم يأتي أحدهم ليتصور أن ذلك الفراغ الإليكتروني والعالم الافتراضي يمكن أن تكون مساحة خاصة للصراخ الذاتي! كل شيء لم يُخلق لتستخدمه كما تريد لأن هناك دائما عباقرة يتصورون أنهم وحدهم يملكون كتيب تعليمات التشغيل.
لكن الحقيقة التي لا يدركها أحدهم أنك لا تبحث عمن يهتم، أنت فقط تبحث عن التفريغ!
ستواجه مع كل محاولة تلجأ فيها لتخفيف الضغط عن نفسك بمئات الحواجز التي ستجبرك على شرح مئات البديهيات في المقابل. بل ربما تصبح مجبرا على الصمت في النهاية رغم كل ما يحيط بك ويدفعك لحافة الانفجار. أنت دائما مضطر للاستمرار بحكم الاعتياد ومحاولة البحث عن شيء يكسر روتينك الخاص أو لأنك أحيانا لا تملك رفاهية الاعتراض على أسباب اكتئابك، ستبقى محركاتك المعطلة تدفعك بالقصور الذاتي إلى أن يتوقف كل شيء. عندها فقط يمكنك اتخاذ القرار بالاستمرار لمدة إضافية أخرى لن تسعفك محركاتك لاستكمالها أيضا، وستضطر لدفعك بالقصور الذاتي من جديد وكأنك تتحرك في دائرة مفرغة.

رحلة إلى مصنع البيض

تكثر المصانع في بلادي، وعلى الرغم أن جزءا لا بأس به منها قد توقف إثر أحداث يناير، إلا أن أكثرها واقعية هو «مصنع الرجال» فى القوات المسلحة، وأكثرها رواجا هو «مصنع الحلوى» على فايسبوك، وأكثرها زخما هو «مصنع الكراسي» الذي لا يوجد سياسي إلا وقد تم استدراجه هناك تقريبا ويمكن أن نخصص لذلك مجلدات! لكن أهم تلك المصانع التي تعرضت للظلم والتجاهل هو «مصنع البيض» .. دعوني أقدم لكم رحلة مجانية لهذا الصرح العظيم.

ستبحث كثيرا عن موقعه الجغرافي، وستتساءل عن ماهية إنتاجه. وفى النهاية ستجده بداخلنا جميعا! وانتاجه يقتصر على «الكليشيهات»! وبما أننا في هذه البقعة الجغرافية المميزة من العالم، فالأمر يختلف كليا!

بداية يأتي الكليشيه الأشهر أننا «شعب متدين بطبعه» ليفرض نفسه كـ «Flagship» لا يمكن إغفاله على قمة المنتجات! وإمعانا في إضفاء العمق فقد ربطناه بجذورنا الفرعونية أيضا عندما عبد المصري القديم «آمون» ثم جاء اخناتون ليغير الخريطة الدينية بإضافة الإله «آتون» وبعد وفاته عاد المصري القديم إلى «آمون» كإله مفضل ورفيق الدرب في الأيام الخوالي الذي لا يمكن الاستغناء عنه!

ثم آمن بالمسيح عليه السلام، وتحمل اضطهاد الرومان في جلد وشموخ سطر به تاريخا أضيف لتاريخ هذه الأمة بأحرف من نور. حتى تحول الرومان أنفسهم للمسيحية بعد أحداث تاريخية معقدة ومتشابكة إلى

حد بعيد. وبعدها آمن برسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح منارة لنشر الدين عبر العصور.

لكن هذا ليس كافيا! فبرغم هذا التنوع والاختلاف نمارس على أنفسنا أعتى مراحل التصنيف العقائدي وتشويه المعتقدات. وليس كافيا أن تكون مسلما مثلا لكي تكون كذلك في أنظار بعض الشيوخ الذين ينصبون أنفسهم كلجنة تقييم للأديان ويرون في أنفسهم القدرة على تحديد مصيرك بدخول الجنة أو احتجازك في قاع سقر.

دعك من هؤلاء، انظر حولك لتجد أن رجل الشارع العادي يتعامل مع الآخرين من نفس المنطلق. الحلاقون مثلا، برغم ما يمكن أن يسببوه لك من أمراض وتلوث لعدم اهتمامهم بنظافة أدواتهم لا يمكن أن ينسوا الظهور كأتقياء! ولابد أن تجد أحدهم قد كتب على واجهة المكان «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ» في استغلال صريح لمعاني الآية الكريمة.

ستجد أصحاب محلات العصائر تكتب دائما «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا» ما العلاقة؟ أو أصحاب محلات الفاكهة حين يكتبون «وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ» فلو أنه لا يقصد الاستغلال للترويج والظهور كمتدين ورع لا يُشق له غبار لماذا لم يعنون المحل بحدائق الزقوم مثلا؟ لقد وردت في القرآن أيضا! لماذا محلات الجزارة غالبا هي «جزارة الأمانة» رغم أنهم ليسوا أمناء على الإطلاق؟ ويمكن للجزار أن يبيع لك الدهون بسعر اللحم بضمير مستريح، وبعد أن يفرغ من خداعك سيتوجه لأقرب مسجد لأداء صلاة العصر.

وبالنظر لمجتمع أدمن الكليشيهات الدينية كان لابد للأمر أن يتطور. وأضحى كل صاحب سوبر ماركت وهو يحسب أن تجارته لمنتجات الألبان والبسطرمة تؤهله لقيادة اقتصاد دولة يبدأ بتوزيع نظرياته الاقتصادية لصبغ كل الأنشطة بصبغته الاسلامية كما يراها هو! السياحة حرام لأنها عرى وأصنام ويمكن استبدالها بسياحة الحجامة. ولابد طبعا من توسيع

تجربة البنوك الإسلامية! رغم أن أي طالب كلية تجارة محترم يعرف أن لا فرق بين بنك عادى وآخر إسلامي سوى مسميات الحسابات الختامية كـ (حـ/ أرباح وخسائر)و (حـ/ المضاربة) حتى الفائدة لها بديلها ويطلقون عليها «الريـع»!

رئيسكم ملتح، ألا تكبرون! لقد اختصرت هذه الجملة أسطورة الشعب المتدين بطبعه عبر الأجيال. فلا يهم أن يكون الرئيس متعلما أو لديه القدرة على قيادة أمة أو حتى لديه من الذكاء ما يكفيه ليتقلد رئاسة مجلس إدارة بنك الحظ، إنه ملتح! وهذا يجعله قادرا على الإلمام بكل شيء بالطبع.

لن تفرغ أبدا من كليشيهات الشعب المتدين بطبعه، لهذا يمكننا الانتقال إلى منتج آخر خاص بكليشيهات الثورة المجيدة.

بدأت الكليشيهات الثورية في أمسية ٢٨ يناير ٢٠١١ عندما أصر الجميع أن المظاهرات «سلمية»! ومن بعد التظاهرات أطل كليشيه «الائتلاف» فكان كل خمسة أفراد لم يجدوا ما يشغل وقت فراغهم أعلنوا عن تشكيلهم لائتلاف ما.

حتى بعد فشل كليشيه «دم الشهيد بيقولك لأ» في تحقيق أهدافه ضمن لعبة الاستقطاب واستجداء عواطف الناس لم يفقدوا الأمل! وقد حاولوا جاهدين أن يجعلوا الآخرين يشعرون بالذنب واخترعوا لهم كليشيه «ناس بترقص وناس بتموت» لكنهم فشلوا بالتخصص أيضا! فماذا كانت تفعل فرق الموسيقى والجيتارات والأهازيج في الميدان منذ ليلة ٢٨ يناير سوى الغناء والاحتفال؟ كان عليهم أن يمنعوهم احتراما لكليشيه «دم الشهيد» الذي لم تنقضي فترة حداده وقتها على الأقل!

هل تظن أن هذا كل شيء؟ فلو كنت ممن يقتنعون أن إنتاج مصانعنا مقتصر على السياسيين فأنت مخطئ بالطبع! أهلا بك في قسم الكليشيهات

الرياضية.
مهما كان حجم إخفاقات فريقك المفضل، ومهما كان مستواه رديئا لا يؤهله لبطولة دورة رمضانية هناك دائما كليشيه «القرارات التحكيمية» ليفسر لك كل شيء. عدوى القرارات التحكيمية انتقل من اللاعبين والمدربين والاستوديوهات التحليلية للمواطن نفسه! فلا يمكن لشخص عادى أن يخسر في البلاي ستيشن أيضا إلا بسبب قرارات الحكم.
أهلا بك في عالم لا يخسر الزمالك بطولة للدوري إلا بسبب «اتحاد الفراولة» ولا يخسر الأهلي بطولة إلا بسبب المؤامرة على تاريخ النادي! ثم يتابع القائل مضيفا عبارة الأهلاوية الخالدة: الأهلي فوق الجميع!

وبرغم كل تلك المعارك الوهمية، تتساءل عن مدى تفوقنا في لعبة ككرة القدم لو قارنتها بنماذج مضيئة من الرياضات الأخرى التي لا تحظى بنفس الدعم أو الاهتمام! لتقفز الإجابة إلى خيالك بأضعاف سرعة الضوء أننا لم نصعد إلى كأس العالم مثلا منذ العام ١٩٩٠! هذا لو استثنينا الفترة الذهبية للرائع حسن شحاتة بالطبع.
هل تريد بعضا من منتجاتنا المحلية؟ حسنا، إليك أحدث تشكيلات كليشيهات الإعلام:
«المهنية - الحياد - الموضوعية»
يقول معظم الإعلاميين بفخر إنهم غير مضطرين للحياد لكنهم ملتزمون بالموضوعية. جملة مبهرة فعلا! أنا كإعلامي أستطيع أن أعبر عن انحيازي التام لوجهة نظر ما طالما كان هذا الانحياز مهنيا وموضوعيا. لكن أين هي حدود انحيازاتهم وضوابطهم المهنية للموضوعية!؟ ستجد نفسك تبحث في الفراغ.
وهل يعتبر الانحياز لأي وجهة نظر كانت خاصة من مؤسسات تحمل على

عاتقها مهمة تشكيل وعي مجتمع شيئا مهنيا من الأساس؟
الغريب رغم هذا النسق المتآكل من المنطق تجد بعضا من هؤلاء الذين ألزموا أنفسهم بالانحياز الموضوعي حسب تفسيراتهم يتذمرون لأن الجمهور لا ينظر لهم بموضوعية! هكذا ببساطة!
طالما كامثلا.ة الحياد والموضوعية والمهنية غير ملزمة لأحد الطرفين فمن البديهي جدا ألا تكون موضع اهتمام للطرف الآخر أيضا.

الطريف أن الإعلام رغم اختلاف أيديولوجيات الجماهير الواضح وبرغم المجتمع الذي يعيش حالة استقطاب حادة، فهو الطرف الوحيد الذي لا يرضى عما يقدمه أحد! وهو ما يستلزم من هم مسؤولون عنه بضرورة مراجعة أولوياتهم والانتقال من خانة صنع «الترافيك» إلى ممارسة دورهم الأصيل في التنوير.
أما أهم منتجات التصدير فهو كليشيه «المصريون يبهرون العالم»! لا نعرف تحديدا كيف ومتى انبهر بنا العالم، لكننا نصر أننا كذلك! وهو ما يكفينا لنتوقف عن فعل أي شيء ليتسنى لنا الاحتفال بما قدمناه للعالم من ابهار.
إلى هنا انتهت الرحلة داخل هذا الصرح العظيم، لنعود إلى حيث بدأنا وننسى كل شيء شاهدناه! متمنين لبعضنا السلامة، والمزيد من الإنكار.

أسطورة محافظة المنوفية

في غفلة من الكون، وفى لحظة سُكر من التاريخ سقطت عمدا حكاية من أهم حكايته على الإطلاق. إنها أسطورة محافظة المنوفية!

تبدأ الأسطورة أولى فصولها المعقدة بمخطوطة قديمة تشير إلى سقوط ذلك النيزك الـ .. لحظة! من أين تأتي أصداء الأصوات المعدنية تلك والتي تقول: خليك في حالك وكُل عيش!

لقد فهمت .. سأحرق كل ما بين يدي من أسرار، وأنتم! تظاهروا أنكم لم تقرؤوا شيئا واقلبوا الصفحة بسرعة!

في مديح الذات المحاسبية

مهنة المحاسب مهنة عريقة جدا، وأظنها بدأت مع ذلك العبقري الذي قرر أن يقايض كيلتان من القمح بخمس بيضات! ولعلك تتساءل ولك العذر لماذا رأى أن تتم المقايضة بخمس بيضات تحديدا؟ ذلك لأنه وضع قواعد المهنة مبكرا وقرر أن كيلتان من القمح يعادلان فقط أربع بيضات فقط تمثل «تكلفة البضاعة المباعة» أما البيضة الخامسة فهي صافي الربح قبل خصم المصاريف والذي اختص به نفسه من عملية المقايضة تلك!

الحسابات هي العلم الوحيد تقريبا الذي أثبت فعليا أن كل الطرق تؤدى إلى روما. مع الحسابات لا يمكن أن تترك شيئا للصدفة، ولو فشلت في إثبات قيد يومية سينبهك دفتر الأستاذ إلى ما اقترفته من جرم في حق الدائن والمدين! ولو كان دفتر الأستاذ سكيرا ولم يلفت نظره ذلك الخطأ الجسيم سيصرخ ميزان المراجعة في وجوهكم جميعا! ولو كان ميزان المراجعة نفسه من نوع المدير الذي لا يلتفت إلى أخطاء مرؤوسيه سيجد أن الحسابات الختامية في انتظاره وهي تضحك بسخرية وتقول: وهكذا سقطت لويز!

مع الحسابات لا مجال للخطأ من أي نوع وتسلسل القيادة لديها مبهر وجدير بالتأمل.

لو شئت الدقة فكل شيء من حولك خاضع لقانون ومسميات الحسابات

بشكل أو بآخر مهما حاولت أن تخفي ذلك، وهنا تكمن عظمة هذه المهنة! فبرغم خطورتها كونها علم متخصص في لغة الأرقام، لكنها لا تخفى أبدا طبيعتها الاجتماعية.

تخيل أنك جالس مع أسرتك تتجاذبون الحديث الباسم حتى تدمع أعينكم من فرط الضحك، وفجأة وبلا سابق إنذار تقول لك خالتك: إيه الضحك ده كله! خير اللهم اجعله خير! البعض يحسب هذا التصرف نوعا من التطير أو التشاؤم، لكنه التعريف الاجتماعى لمصطلح محاسبي وهو «الاحتياطي». ما كل هذا الترف! عليك أن تقتطع جزءا من سعادتك لاجترارها في أوقاتك القادمة والتي بالتأكيد ستكون حافلة بالكآبة.

ربة المنزل البسيطة التي تقوم بتوزيع المرتب إلى أوجه إنفاقه المعتادة هي باختصار تقوم بإعداد «قوائم التدفق النقدي» وهي تفعل ذلك ببراعة يحسدها عليها أعتى خبراء التحليل المالي!

حتى عندما تحصل على زيادة في المرتب - وهو أمر نادر - لتقوم بدعوة أسرتك على عشاء فخم احتفالا بهذه الزيادة، نحن نسمي ما حدث بـ «توزيع أرباح المساهمين» لقد ساندوك معنويا ودعموك حتى وصلت إلى هذه المكانة وأصبح من حقهم عليك أن تكافئهم.

لنترك المسميات، المعايير المحاسبية أيضا لها نفس الطابع الاجتماعى. فعندما تقرر أن هذه هي اللحظة المناسبة لكي تتزوج وتمر بكافة مراحله من تعارف وعصير برتقال وخطوبة، كل هذه الأشياء اللطيفة يمكن أن تخضع لمعيار «اندماج الأعمال».

حتى طابعها الرقابي يقابله نموذج اجتماعي واضح جدا. فالأب الذي يوبخ ابنه الفاشل في الثانوية العامة ويقول له غاضبا وقد انعقدا حاجبيه: وديت الدرجة ونص دول فين! هو باختصار يقوم بعمل مدقق الحسابات، فنصف درجة فقط قد تنقل المسكين من طب أسنان عين شمس إلى آداب

المنيا!
كل شيء في حياتك خاضع لقوانين علم الحسابات، وشئت أم أبيت فأنت أمام أحد أخطر المهن في العالم! ولعل التفاؤل قد تسلل إلى أوصالك قليلا بعد أن قرأت ما هو أعلاه وبدأت تحدث نفسك بنوع من الفخر والتباهي الزائف أن بإمكانك أن تغدو محاسبا! ولو كان يجول في عقلك الآن بمنتهى الاستخفاف أنها عبارة عن عمليات جمع وطرح فنصيحتي لك أن تكتفى بهذا القدر من السذاجة وتنجو بنفسك ولا تقترب من حقل الألغام الرقمي هذا على الإطلاق. هذا التفاخر والغرور الأرعن هو ما سيقودك لتصطدم بالحقيقة، ماذا تعرف عن الحسابات؟
هل تعرف ماهية التكلفة الغارقة مثلا؟ يتم تعريف هذا النوع من التكاليف بأنها التكاليف التي لا تؤثر على الإطلاق في أي شيء! ورغم ذلك فلها دور مهم لا تعرفه لحسن حظك.
هل سمعت عن تسوية مخصص خسائر الاضمحلال؟ كلمة «الاضمحلال» نفسها لها وقع مخيف ومقبض على النفس، فما بالك أن لها مخصص وخسائر أيضا! ويقال إن كلمة الاضمحلال لم تظهر في غير علم الحسابات سوى في معلقة أفلتها تاريخ تدوين الشعر لعمرو بن كلثوم.
هل تعرف أن مدى هوسك المرضى بشراء أي شيء بـ ٩٩,٩٩ جنيها لا يعد عرضا مغريا لك كمستهلك على الإطلاق؟ هذا باختصار ما يقوم به عباقرة الظل أمثالنا لتخفيض الشريحة الضريبية ياعزيزي! قرش واحد فقط من هذه القروش التافهة في نظر مستهلك لا يعرف كيف تدار اللعبة قد ينقل «المنشأة» من شريحة ضريبية إلى أخرى في لمح البصر! حتى عروض اشتر أي نوعين من الهراء واحصل على الهراء الثالث مجانا هو عرض غير مجاني غالبا وقد تحملت تكاليفه كاملة بسعادة ورضا تام قد يُجبرنا كعباقرة ظل وكمخضرمين عارفين ببواطن الأشياء على إغراءك بالمزيد! لا تشغل

بالك، أنت ذكي ويمكنك أن تشم تلك الخدع التسويقية عن بعد وبطريقة يحسدك عليها المدير التنفيذي لشركة تويوتا شخصيا. استمر!

موظفو الموارد البشرية مثلا .. المتباهون بأنفسهم والمولعون باختصار مسماهم الوظيفي لحروفه الإنجليزية والذين وجع.ن أن حصر مواقيت الحضور والانصراف وخصم ساعات الغياب والتأخير من المرتب وتقييم المتقدمين للوظائف هو أرقى ما توصلت إليه علوم الوظائف مثلا يتعاملون مع يوم «الجرد» كعطلة مدفوعة الأجر! ذلك لأنهم «غلابه» غرتهم مواقعهم التي تجبرهم على ارتداء الـ»فورمال» ووضع بطاقة تعريف على جيوبهم قد أوحت لهم كذبا بأنهم ذوي شان رفيع لا يعرفون أن يوم كهذا وما يتبعه من إعادة تقييم للمخزون وقياس معدل دورانه وربحيته كفيل بتحديد مصير الشركة ككل، وبالتبعية تحديد مصيرهم الوظيفي!

هل تعرف أهمية الحساب الجاري مثلا؟ لن يمكنك أبدا، لكنه بمثابة مقبرة يمكنها ابتلاع أي شيء ودون أن تترك خلفها أي دليل على كم الجرائم المدفونة بين طياتها. الحساب الجاري في علم الحسابات هو المعادل الرقمي لـ «جاك السفاح» في عالم الأدب.

بقي أن تعرف أن قدس الأقداس المحاسبية والذي يتمثل في الميزانية التي لا تستقيم إلا بتساوي كفتيها بين «الأصول» و»حقوق الملكية» وبرغم ذلك التعادل الرقمي الإجباري فهي تحتوي على «الأرباح» أو «الخسائر»! أهلا بك في علم قد تخصص في جعل كل ما هو غير منطقي يصبح منطقيا بمجرد قيد يومية!

الحسابات أحجية، لوغاريتم أشبه برسومات الفراعنة التي لن تستطيع قراءتها إلا لو أجدت الهيروغليفية. مهنة مليئة بالأسرار، وقد جعلت منا نحن المحاسبين نعيش في زمرة مغلقة أشبه بأخويات أوروبا القديمة. وأكسبتنا المهنة مع الوقت طابعها الرقمي في تعاملاتنا الاجتماعية، حتى

تقييم الأشياء والمواقف والأشخاص في أذهاننا اكتسب نفس الطابع المرعب ولم يعد بتلك السهولة التي تحسبها عليه لدرجة تدفع الآخرين لتصور أن ابتسامنا في وجوههم هي مجرد مجاملة عابرة رغم كونها عملية إعادة تقييم كاملة تتم في لحظات! الحقيقة أننا أخطر كثيرا مما يوحي به مظهرنا.

فلسفة البهجة

ها أنا ذا يابسنت، أيا بوحي بكل أسرار الحياة لكن ما أخفيه يظل الأعظم! أتعرفين؟ لا! توقعت هذا طبعا، المهم أننا معا اليوم لا لنحتفل ككل مرة نجتمع معا على أضواء الشموع التي تحسبينها تصرفا رومانسيا لكنه لا يعدو توفيرا للطاقة! لماذا الشموع يا بسنت؟ أيا أضغاث أحلامي بعد عشاء دسم، أنت لا تعرفين الإجابة. لا تعرفين وليست لا تعرفي وكفاك تحاذقا! هذه «لا» النافية وليست الناهية، ولو قرأتها بغير ما كتبته أنا فهو خطأ المصحح اللغوي الذي قرر أن يلعب دور سيبويه في غير موضعه. أنت لا تعرفين الإجابة، ولا يوجد من يعرف الإجابة حتى الآن ولا يجرؤ أحدهم على اعتبار الشموع مجرد موروث مرئي آخر لا نعرف له مصدرا أو ميثاقا تاريخيا. هنيئا لك بالشموع إذا ودعينى أبوح لك بمكنون خفاياي!

ها أنا ذا يا بسنت، أيا رنين المنبه صباح سبت العمل بعد سهرة الجمعة المبهجة، أيا وجع .. وجع .. وجع ماذا؟ ليس وجع النايات طبعا فهذا التعبير بإمضاء نزار قباني، ثم منطقيا لا يمكن للناي أن يتوجع من الأساس لأنه جماد! ولو كان للناي رفاهية الإحساس والتوجع لصرخ تقززا من عازفيه لما يسببوه له من ألم نفسي. تخيلي أنه كائن حي وهناك شخص ما لا يمل «النفخ» في ثقب من ثقوبه وأصابعه تتحكم في الثقوب الأخرى! إنها تجربة مقززة بكل المقاييس. حسنا، كنا نتكلم عن توصيف منطقي للوجع؟ .. أيا وجع إصبع القدم الصغير إثر اصطدامه بالكومود المطلي

بقشرة خشب التيك الإفريقي العريق.
لقد وددت إخبارك إنني سعيد الآن بعدما انتهيت من ثرثرتي وحانت لحظة إغلاق هذا العمل، وهذا ما يفسر أنني مكتئب أيضا! الاكتئاب هو نوع من أنواع البهجة لو كنتِ تفهمين ما أقصده. السعادة مجرد كليشيه يا بسنت، بينما الكآبة حقيقة لا يمكن أن نغفل وجودها في حياتنا! سأبرهن لك. عندما يغمرك الشعور بالسعادة تأكلين كل شيء بداية من مكعبات الكاكاو حتى طاجن السبانخ الذي نسيناه في الثلاجة منذ ليلة زفافنا. ثم يبدأ وزنك في الزيادة جراء ما اقترفتِه من جرم في حق معدتك، تُكذبين عينيك، تسألينني: هل زاد وزني؟ يصحو ضميري فجأة من غفوته وأتخلى في لحظة نادرة عن المجاملات وأجيبك: بالتأكيد! لقد أصبحت أشبه بدب قطبي لكنه يرتدي بيجاما بدلا من الفراء. تدخلين في طور الكآبة، لا تأكلين أي شيء، مصروف البيت يسجل انخفاضا ملحوظا في معدل النزيف، وبعد فترة تكتشفي أنكِ فقدتِ من وزنك الكثير فتشعرين بالسعادة من جديد! لقد كانت الكآبة هي كلمة السر لكنك لن تعترفي بالحقيقة. إن في الكآبة حياة يا بسنت!
ها أنا ذا يابسنت .. أيا عشقي للوسادة الهوائية التي تفسد عليكِ لحظة الاصطدام لتشاهديها للمرة الأولى بجوار موظف شركة التأمين، ها أنا أقف أمامك لأحثك على قلب نظام الثوابت جميعها.
لنختلف! لنجدد كل شيء ونضع قواعدنا الخاصة وأهمها ألا وجود لأي قاعدة على الإطلاق! وسنبدأ بتعبيرنا عن مدى ما يربطنا من حب! لندع كل التعبيرات الفضفاضة جانبا ونقوم بالتركيز على الأشياء المادية التي يمكننا قياسها وتجعلنا نشعر بالسعادة دون تهويل أو تهوين.
لنكن واقعيين ودعينا نتكلم كفنيين ونلعب دور كابتن مدحت شلبي وكابتن فاروق جعفر للحظات، ما فائدة أن أقول لك أنني أحبك قد

عينيا؟ هل يشعرك هذا التعبير بالسعادة فعلا وأنت تعرفين أن بصري ضعيف بامتياز؟ أم تعجبك الفلسفة الفيروزية حين تقول «رسمتك على المشاوير»؟ لو كان هذا التعبير يخص التسوق فلا بأس، لكنه يخص الحب لذا فهو مبهم وغير مفهوم وغير قابل للقياس أيضا. أم أنكِ من هواة مدرسة «رأفت الهجاص» الشعرية؟ حين يقول الشاعر لحبيبته: وحلمت بكِ ترقصين مرتدية قبعة القدر!

دعينا نعبر عن مشاعرنا الجياشة بأشياء يمكن قياسها لنعرف حجم التقدير الحقيقي الذي يحمله كل منا للآخر. لو قلتِ إنك تحبيني بمقدار حبك لعطر شانيل رقم خمسة أو بمقدار هوسك المرضي بكلاب الهوسكى أو عشقك لورق العنب الذي تجهلين طريقة إعداده سأكون أكثر الرجال سعادة في التاريخ! أما أنا فأحبك بمقدار حبي للفراغ، للإضاءة الخافتة، لشعاع الشمس المتراقص بين ذرات الغبار. لا داع لتنتفخ أذنيك لتنافس أذن الفيل حجما من كثرة ما تسمعين من إطراء كاذب.

كوني واقعية تسعدي يا بسنت.

ها أنا ذا يابسنت، أيا فرحتي بعودة التيار الكهربائي، لقد أعددت لنا كوبين من الهوت شوكليت كعربون للحقبة الجديدة. يمكنك تبديل الكؤوس لو شئت فأنا لن أغامر بإعدامي للتخلص منك، كما أنك مثل «راسبوتين» ولن تموتي بالسيانيد ولن يجد نفعا مع ما هو في داخلك من سوداوية مقدسة وربما يصيبك بالدوار فقط! وها هي مقطوعة «زوربا» تصدح في جهاز الستريو، لنرقص ونحطم كل شيء. هذا الطبق، هذه المزهرية، زجاج النبش وشـن! هاااه، إنها السعادة حقا! لحظة، تبقى هذا السيرفيس الزجاجي الفخم ولابد أن تحطميه بنفسك، نعم بنفسك!

تخيلي أنه أنا عندما أحرمك من مشاهدة المسلسل المكسيكي لأتابع مباريات كرة القدم! استغلي كل ما تخفيه في قلبك من ضغائن وشـ ....

أحسنت! لم أكن أعرف بأنك تحملين كل هذا الحقد تجاهي! بالمناسبة.. كان هذا السيرفيس هو آخر وجود مادي للأشياء التي قمت بالتوقيع عليها في «القايمة».